

# الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لشيخ الإسلام  
تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية  
المتوفي سنة ٧٢٨هـ

تحقيق  
دكتور محمد السيد الجليلند  
إستاذ الثقافة الإسلامية  
جامعة الملك عبد العزيز - جدة  
كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

دار المجتمع للنشر والتوزيع  
جدة - الخبر

جدة - تلفون ٦٨٩١٤١٧ - ص.ب. ٨٠٥٢ - مكة ٢١٤٨٢

الخبر - تلفون ٨٩٤١١٣٦ - ص.ب. ١١٠ - القصبة ٢١٩٥٢



طبعة عام ١٤٠٤ هـ  
حقوق الطبع محفوظة  
دار المجتمع للنشر والتوزيع  
جدة - الخبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## ( تقديم )

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . إنه من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل الله فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى من دعا بدعوته وعمل بسنته ، آمين .

ان مما أختص الله به الأمة الاسلامية أن جعلها شاهدة يوم القيامة على جميع الأمم قبلها لما تحملته من عبء الدعوة التي تتضمن الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر . وتلك لعمري مسئولية مهمة ومن ميراث النبوة ذلك ان دعوة جميع الأنبياء في جوهرها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر . ومن هنا كان علماء هذه الأمة كأنبياء بنى اسرائيل إذا هم قاموا بما يجب عليهم تجاه جمهور الأمة من الأمر والنهي والنصح والارشاد . وكانت كلمتهم تصدر عنهم من واقع احساسهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم نحو مجتمعهم حاكمة ومحكومة . وأؤكد هنا على قضية الكلمة والاحساس بأهميتها كأمانة ومسئولية نحو المجتمع كله حاكمة قبل محكومة . فاذا ما نصح العالم عن صدق واخلاص وتقبل الحاكم النصح عن صدق وتواضع واخلاص صلح أمر الرعية كلها . ذلك أن أول الأمر هم العالم والحاكم فإذا صدق العالم في نصحه وأخلص الحاكم في عمله وسهر على تنفيذ أوامر الله ونواهيه في رعيته أستقام أمر الأمة وصلاح حالها . وأمن أفرادها على حقوقهم وأمواهم وأعراضهم . ولا يستقيم أمر الأمة ولا يصلح حالها إلا بذلك . صلاح العالم والحاكم معاً إذ هما قادة السلم والحرب وأصحاب الرأي والسلطان وعقل الأمة وعضدها ، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة التي تحذر المسلمين من فتنة العالم الفاجر والحاكم الظالم وجاءت النصوص

الكثيرة التى توضح مهمة العالم ومسئولية الحاكم وخطر الكلمة الصادرة عن كل منهما وأهميتها فى إصلاح المجتمع أو إفساده ولا أريد أن أستطرد هنا فى بيان أهمية العالم ودوره فى صلاح حال الأمة وكذلك الحاكم . إذ الأمر فى ذلك لا يحتاج إلى مزيد من الايضاح . وإنما مادعانى الى هذه الكلمات ما آل اليه أمر الأمة الاسلامية من تخلف وتردد وهوان . ونكوص بعض علمائها عن النهوض بواجبهم وتحمل أعباء المسئولية التى حملوها . ومن إستبداد بعض الحكام وظلمهم وطفغانهم وعشهم بمصير الأمة وتاريخها وعمالهم المكشوفة لأعدائها . كل هذا واقع يعيشه المسلم المعاصر ويحس بطعم مرارته وقسوة مذاقه صباحا ومساء . وأصبح أمر الاسلام فى معظم أمصاره كما قال الشاعر :

أنى أتجهت الى الاسلام فى بلد      تجده كالطير مقصوصا جناحاه

وبات لإحساس الفرد بالمجتمع وقضاياه وبالأمة ومصيرها معدوما أو غائبا وما زاد الأمر خطورة أن الكلمة أصبحت على لسان البعض سلعة تجارية فى أسواق المزايدات السياسية والنفاق الاجتماعى . وأخذت تباع وتشتري شأن أى سلعة استهلاكية تفقد قيمتها بمجرد الحصول عليها . وهذا كان له أثره السئ فى نفسية شباب العصر وتمزقه ونتج عن ذلك فقدان الثقة فى كل ما يقال . وفيمن يقول أحيانا . مما أدى الى حالة اللا مبالة أو الرفض التى يعيشها بعض الشباب . وهذا فى حد ذاته أخطر ما تصاب به الأمم والشعوب . عزوف أبنائها عن المشاركة فى صنع مستقبلها . وعدم الاحساس بقضايا الأمة .

ولكل أمة بالضرورة ما تأمر به وما تنهى عنه . كما أن لكل فرد ما يأمر به وما ينهى عنه . سواء تم له ذلك فيما بينه وبين نفسه فيأمرها وينهاها أو بينه وبين غيره . ولا يتصور حال الأفراد والجماعات بدون ذلك ولا يستقيم حال أمة من الأمم إذا لم يكن لديها ما تأمر به وما تنهى عنه . والله تعالى قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . فقال سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله » . وقال لرسله « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا » . وأوجب على هذه الأمة أن تأمر وتنهى بما أمرت الرسل به وما نهت عنه . فقال سبحانه وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر » . وجعل مكانة هذه الأمة بين الأمم مرتبطة بقيامها بواجبها في الأمر والنهي . فقال سبحانه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . كما دلت السنة النبوية المطهرة على وجوب تحمل هذه المسؤولية . قال ﷺ . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان . وجاء في الحديث الصحيح . لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم بذنوبكم فتدعون فلا يستجاب لكم . كما يبين القرآن الكريم أن سقوط بني إسرائيل وطردهم من رحمة الله كان من أهم أسبابه أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . وإنما أصبح المنكر عندهم عرفا والرديلة عادة . وجاءت قصص الأمم السابقة في القرآن الكريم لتعتبر بهم الأمة الإسلامية ولتعلم علم اليقين أن سنن الله في كونه لا تختلف اذا وجدت أسبابها .

ويجب على المسلمين وجوبا كفائيا القيام بهذه المهمة حرصا على سلامة المجتمع من الأمراض الاجتماعية التي فتكت بالأمم السابقة قبله فلا يجوز للأمة أن تهمل أو تتوانى في القيام بها واذا لم يقم بها أحد أثم الجميع بذلك . وحاق بالأمة ما حاق بالأمم السابقين عليها . واذا كان لكل أمة ما تأمر به وما تنهى عنه فان الله تعالى قد حدد لهذه الأمة الأوامر والنواهي في كتابه وبينت معالمها السنة النبوية المطهرة . ومن هنا فلا يجوز لأحد أن يأمر أو ينهى بغير ما أمر الله به أو نهى عنه وهذا يقتضى ممن يأمر وينهى أن يكون فقيها عالما بأوامر الله ونواهيها فلا يتخذ عقله أو ذوقه أو هواه مصدرا لأوامره ونواهيها فيضل الناس بغير علم ، ولا يكفى هنا الأمر بما يغلب عليه الظن أنه مما أمرت به الشريعة لأن الظن لا يقوم مقام اليقين في الأمر وان كان يقوم مقامه في النهي أخذا بالأحوط والأسلم .

وينبغي أن يتحقق الأمر ان أمره بالشئ — وان كان معروفا — لن يؤدي الى مفسده أو لإحداث فتنة تفرق بين أفراد الأمة وأن نهيه عن الشئ لا يؤدي الى مفسدة أعظم منه لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

وهذا يقتضى معرفة الأمر التامة بالظروف والأحوال التي يجب فيها الأمر والنهي وكيف يقوم بالأمر ومتى ؟.. لأن اختلاف الظروف والأحوال يقتضى اختلاف النظرة

والوسيلة تبعا لتبديل الأحوال . فما يجب الأخذ به في عصر قد لا يجب في عصر آخر .

وينبغي أن يعلم هنا أن دفع أعظم الضررين يجوز بإرتكاب أخفها دفعا للضرر الأعظم إذا لم يمكن الأمر إلا بذلك وهذا يقتضى من الأمر أن يكون عارفا بعلم الأحكام ومناط الأمر والنهى ( الحكم ) . حتى لا يأمر أو ينهى بدون معرفة لسبب الأمر والنهى . وهذه نقطة مهمة ينبغي أن يلتفت إليها الدعاة والمهتمون بأحوال المسلمين . حتى يتعرفوا على موقع أقدامهم من الصواب والخطأ .

وهناك أمور أخرى ينبغي أن يتجلى بها من يتصدى لأمر الناس ونهيمهم فبالإضافة إلى تحليه بالفقه والعلم التام بما يأمر به وما ينهى عنه يجب عليه أن يكون صبورا على أذى الناس ، رفيقا بهم ، حليما معهم شجاعا في الحق ، ولا بد له من ذلك لأن الداعية لا بد أن يتعرض لكثير من أذى الناس ، وهذا أمر لا بد له منه وأن يروض نفسه عليه فما من نبي أرسل أو مصلح حمل لواء دعوة أو مذهب إلا تعرض لكثير من الأذى في المال أو النفس أو الأهل . فما لم يكن له من رداء الصبر لباسا يتحلى به فلن يؤدي الغرض الذى نصب نفسه لأجله وقد يؤدي إلى مفسدة ضررها على المسلمين أكثر من نفعها .

وكذلك ينبغي أن يكون رفيقا حليما بالناس عند الأمر والنهى . إذ الرفق والحلم من لوازم دعوة الناس حتى نحصل على الغرض المطلوب من الأمر والنهى . والله رفيق يحب الرفق في الأمر كله . وما وجد الرفق في أمر إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه . وهذا تحقيقا لقوله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن » . وهذه الأمور الفقه — الصبر — الحلم — الرفق يؤكد شيخ الإسلام على ضرورتها لمن يتصدى لأمر الناس ونهيمهم . كذلك الشجاعة في الحق أمر لا بد منه حتى يؤدي الأمر والنهى هدفه ويحقق غايته . وليست الشجاعة المطلوبة هنا في قوة الجسم أو شدة العضلات وإنما هي شجاعة القلب ورباطة الجأش وذلك مصدره قوة الثقة في الله واليقين به فكم من رجال أشداء البنية ضعفاء القلوب تجدهم أول الناس فرارا ؟ وآخرهم اقداما عند مواطن الرجال . وشجاعة القلب هنا مطلب أساسى للداعية . لأنها القوة التى تدفعه الى أن يقول



للظالم والطاغية . قف لا تفعل غير هيب ولا متوجس . وهى التى تجعله يقول للقوى والمستبد أعط الضعيف حقه وأتق الله فى عباد الله . وهى التى تجعل الكلمة صادرة منه عن صدق وإخلاص فى النية وليس تزلفا ولا نفاقا ولا متاجرة بها حتى نخرج الكلمة من قلبه لستقر فى قلب المسلم فتقوده إلى حيث أراد له من خير الدنيا والآخرة .

والكتاب الذى أقدمه اليوم للداعية المسلم . واحد من سلسلة التراث السلفى التى بدأنا فى إخراجها منذ عشر سنوات لنبرز فيها معالم وأصول نحن فى أشد الحاجة إليها فى عصرنا هذا خاصة بعد أن أخذت التيارات السياسية العاتية والاجتماعية العابثة والفكرية المنحرفة ، تعبت بعقول الشباب وتزين لهم الحق باطلا والباطل حقا . وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن النكر يعتبر واحدا من الأعمال التى تضع المسلم المعاصر على موطن علته وممكن مرضه وسبب داء أمته ويصف له نوع الدواء المناسب لهذا الداء والمستأصل لتلك العلة .

وقد عالج هذه القضية كثيرون قبل وبعد ابن تيمية من علماء الكلام والفقهاء والمحدثين . لكن جاء كتاب ابن تيمية مختصر العبارة دالا على المقصود مجسدا لأخطاء الداعية أحيانا ومرشدا الى ما ينبغى أن يتجلى به أحيانا أخرى شارحا الظروف والملابسات التى ينبغى أن يتغير تبعا لموقف الداعية وأسلوبه .

وهذا الكتاب هو الكتاب الثالث من القسم الأول ( المخطوطات ) فى سلسلة التراث السلفى . حيث ظهر قبله :

١ — دقائق التفسير الجامع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية من أربعة أجزاء ظهر منه ( طبعتان ) .

٢ — كتاب التوحيد وإخلاص الوجه والعمل لله . ظهر منه طبعتان وظهر من القسم الثانى ( دراسات وبحوث ) .

٣ — الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل .

٤ — أسس اليقين عند المدرسة السلفية .

ولقد طبع هذا الكتاب قبل ذلك ضمن مجموعة شذرات البلاتين جمعها  
المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى كما طبعها بالقاهرة أخيرا صاحب المكتبة القيمة  
وإننا لننوه بالجهد المشكور الذى بذله من اشرف على هاتين الطبعتين وأن يقبل منهما  
خالص عملهما . بيد أن الحاجة بدت واضحة لتحقيق هذا النص الهام بأسلوب  
علمى دقيق خاصة أن الطبعات السابقة قد ظهر بها سقط فى بعض المواضع أدخل  
بعبارة ابن تيمية ولقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه . كما أن الطبعة الأخيرة له لم يعن بها  
صاحبها فجاء تخريج الأحاديث مغلقا برموز من المعلق نقلها من المعجم المفهرس  
لألفاظ الحديث دون النص على أصحاب السند والصحاح فى مواطنها . وهذا فيه  
ارهاق لذهن القارئ مما قد يدعوه إلى الملل .

وقد تداركنا كل ذلك فى هذه الطبعة ، وإننا لنشكر هنا الأخ عبد الرحمن  
صاحب مكتبة دار المجتمع بمكة الذى طلب منا تحقيق هذا النص لإعادة طبعه ،  
ولقد أبدى اهتمامه المحمود وعنايته بهذا الكتاب نظرا لأهميته وضرورة إنتشاره بين القراء  
فجزاه الله خير الجزاء . وتقبل منا ومنه صالح أعمالنا وجعلها خالصة لوجهه الكريم و  
نفع بها الاسلام والمسلمين .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم أجمعين .

دكتور

محمد السيد الجليلند

جده

١٣ شعبان سنة ١٤٠٣ هـ

## إبن تيمية إمام وتاريخ

### نشأته وحياته

هو الامام تقى الدين أبو العباس احمد بن عبد الحلیم بن الامام مجد الدين الى البركات عبد السلام بن أنى محمد بن عبد الله بن أنى القاسم محمد بن الخضر بن الخضر ابن على بن عبد الله بن تيميه الحرانى . ولد بمران فى يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ، الموافق ٢٢ يناير ١٢٦٣ م . هاجر به والده إلى دمشق عندما أغار التتار على بلاد الاسلام ٦٦٧ هـ الموافق ١٢٦٨ م .

وفى دمشق استقر المقام به وبأسرته وهو ما زال غلاما يافعا فى باكورة الصبا فلم يكن قد تجاوز السابعة من عمره . نشأ محبا للعلم والعلماء، لا يلوى على شىء غير الاشتغال بالعلم ومجالسة العلماء . وكان والده عالما مقدما فى الحديث وعلومه مما جعل ابن تيميه شغوفاً بالاشتغال بالحديث ورجاله ، ولما نزل دمشق ذاع فضله واشتهر أمره وكانت له حلقات للدرس بمسجد دمشق . وتولى مشيخة الحديث بدار السكرية التى كان مقيما بها والتى كانت أولى مدارس العلم التى احتضنت ابن تيمية وهو ما زال فى سن الصبا .<sup>(١)</sup>

حفظ القرآن الكريم وهو ما زال فى سن الصبا ثم اتجه إلى تحصيل العلوم فى الحديث والفقه والأصول وعلم الكلام . سمع كثيرا من الفقهاء و المحدثين وقرأ عليهم

---

١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ - ٣٠٨ .

واخذ عنهم وناظرهم جميعا وهو ما زال في حداثة سنه وكان إذا أراد الذهاب إلى المكتب يعترضه يهودى كان منزله في طريقه ويسأله عن أشياء لما عرف عن ابن تيمية من الذكاء والنجابة منذ صغره ، فكان ابن تيمية يجيبه عنها سريعا حتى تعجب منه اليهودى وتكررت هذه المسألة من اليهودى بقصد تشكيك الشيخ فيما هو عليه ولكن ذلك لم يزد إلا تمسكا بدينه وعقيدته ولم يلبث اليهودى أن أسلم وحسن إسلامه<sup>(١)</sup> .

ولقد انبهر بذكائه أهل دمشق لقوة حافظته وسرعة إدراكه . قال عنه الذهبي : كان يحضر المدارس والمحافل في صغره وينظر ويفهم الكبار . ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنه ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت<sup>(٢)</sup> .

وأثنى عليه الموافق والمخالف ، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها بلغت ثلاث مائة مجلدة<sup>(٣)</sup> .

يقول الذهبي في معجمه : جلس ابن تيمية مكان والده بالجامع الكبير أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم . فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقي يفسر في صورة نوح عدة سنين أيام الجمع .

ولقد غاص ابن تيمية في دقيق من معانى القرآن بطبع سيال ونظر ثاقب وعمد إلى مواطن الاشكال فأزال ما فيها من غموض ، واستنبط من معانى القرآن أمورا لم يسبق إليها في ذلك . وبلغ شأوا كبيرا في حفظ الحديث بأسانيده ، والفقه وأصوله . وبرع في معرفة المذاهب واختلاف الفقهاء وفتاوى الصحابة والتابعين مع شدة استحضاره لرأى الصحابى أو التابعى وقت إقامة الدليل بشكل يهر القارئ .

وكان إذا أفتى لم يلتزم بمذهب معين بل يفتى بما يقوم عنده دليله ، فنصر طريقة السلف وانتصر لها من المتكلمين والفلاسفة والصوفية ورد على هؤلاء جميعا ، وبين خطأهم في كثير من المسائل ، ونصر السنة بأوضح برهان واقوم دليل .

١ — الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لليزار ص ١٨ — ١٩ .

٢ — العقود الدرية ، ص ٤ .

٣ — الذهبى ، تذكرة الحفاظ ٤ — ١٤٧٦ ط : حيدر آباد ١٩٥٨ م .

يقول كمال الدين بن الزملكاني :

كان إذا سئل ابن تيمية عن فن من المعلم ظن الرأى والسماع أن الرجل لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله ، وكان الفقهاء إذا جالسوه استفادوا منه في مذاهبهم ، ولا يعرف أن الرجل ناظر لأحدا فانقطع عنه ، ولا تكلم في علم من العلوم إلا برع فيه . كان فارغا عن الشهوات الدنيا ، لا لذة له في غير طلب العلم ونشره والعمل به .

وكان علمه بالحديث ورجاله وعلومه لا يجاريه فيه أحد من أهل زمانه حتى قال فيه معاصروه : كل حديث لم يحفظه ابن تيمية فليس بصحيح . وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم ، وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث والعالي منه والنازل ، والصحيح والسقيم ، مر حفظه لمتونه وأسانيده ، يقول البزار عنه « أما دواوين الاسلام الكبار كمسند الامام أحمد وصحيح البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود السجستانى والنسائى وابن ماجة والدارقطنى فانه رحمه الله ورضى عنهم وعنه سمع كل واحد منها عدة مرات ..

وقل كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه وكان الله قد خصه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان . ولم يكن يقف على شئ .. إلا ويقي على خاطره إما بلفظه أو معناه فكان مرجع علماء عصره في عزو الحديث إلى الكتب الستة والمسند ، يقول عماد الدين الواسطى : كان ابن تيمية أصدق أهل زمانه عقدا وأصحهم علما ، وأعلامهم في الحق انتصارا له ، وأسماهم كفا ، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد ﷺ ، وما رأينا في عصرنا هذا من تتجلى النبوة المحمدية من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع الحق .

وكانت دمشق في عصر ابن تيمية مهد العلماء من أمثال النووي وابن دقيق العيد والمزى وابن جماعة ، وكانوا جميعا يتوافرون على دراسة الحديث واسانيدها لبيان الضعيف منها والحسن وغير ذلك من علومه . وكان بجوار مدارس الحديث توجد مدارس الفقه والكلام التى جذبت إليها ابن تيمية وصرف إليها كثيرا من وقته وجهده ناقدًا وشارحا مفصلا .

ومن ابرز الحركات التى ظهرت فى عصر ابن تيمية ما كان بين الحنابلة والأشاعرة من منازلات ومناظرات ، فلقد لجأ الحنابلة فى دراستهم للعقائد إلى المنهج الذى سلكوه فى دراسة الفقه والمسائل الفرعية ، فكانوا يستخرجون العقائد من النصوص كما يستخرجون منها الأحكام الشرعية فى مسائل الفقه لأن الدين قد أتى بصريح ما يحتاج إليه الناس فى كلا الأمرين جميعا بينما سلك الأشاعرة وغيرهم فى ذلك مسلك الفلاسفة والمعتزلة حيث كانوا يستدلون على أصول العقائد بالأدلة العقلية والبرهان المنطقى . وثارت دائرة الخلاف بين منهج الأشاعرة والحنابلة فى أصول العقائد مواقف ابن تيمية ومنازلاته . وكانت محنة وأيامه . فلقد أراد الرجل أن يعود بدراسة العقائد الاسلامية إلى مصدرها الأول خالية مما علق بها من فلسفات جدلية وآراء تقليدية فى الوقت الذى انتصرت فيه الدولة لخصوم ابن تيمية من رجال الفقه وعلماء الكلام ، ومن هنا كانت حياة ابن تيمية سلسلة متصلة الحلقات مع الفقهاء والمتكلمين والصوفية ورجال الدولة ، فما كان يخرج من محنة إلا ليزج به فى أتون محنة أخرى . ولقد ذكر ابن كثير فى تاريخه كثيرا مما وقع للشيخ من ذلك<sup>(١)</sup> .

ولن أحاول الخوض فى تفاصيل ذلك ، فلقد كتب فيه الكثير من الكتب فى ترجمة ابن تيمية وحياته ومناقبه ، ومناظراته ومحنه ، ولكن يعيننى هنا أن أعرض بالحديث لجانين هامين من حياة ابن تيمية أرى أنهما كانا أكبر عاملين فى توجيه حياته وسببا فى كثير مما حل به .

### جهاده .

لقد حرص ابن تيمية على سلامة المجتمع الذى عاش فيه والذى فتح عليه عينيه فوجده صريعا بين اعدائه من الخارج والداخل ، فهناك على حدود البلاد الاسلامية كانت تقف جيوش التتار الذين أخذوا يهددون الدولة الاسلامية وحضارتها بزحفهم المتكرر على البلاد . ولا شك أن ابن تيمية ما زال يتردد فى ذهنه بين الحين والآخر ما حل به وبأسرته من أثر غارات التتار على البلاد ، وما لاقته من مشقة وعناء

---

١ — البداية والنهاية ، ج ١٤ حوادث سنة ٧٠٥ — ٨٢٨ .

حينما هاجرت أسرته إلى دمشق من جور التتار . وهو لم يكتمل السابعة من عمره .  
ومن هنا لم يدخر الشيخ جهدا في محاربة هذا العدو الذى جثم على صدور البلاد .  
فأخذ يحرض المسلمين على ضرورة محاربه وتطهير البلاد منه <sup>(١)</sup> وكان اذا حضر عسكر  
المسلمين فى جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعا أو رقة  
أو جبانة شجعه وثبته وبشرو ووعده بالنصر والظفر والغنيمة وبين له فضل الجهاد  
والمجاهدين <sup>(٢)</sup> .

ويحدثنا التاريخ عن كثير من مواقف ابن تيمية ضد غارات التتار وتحريضه  
المسلمين على القتال فلقد تقدم الصفوف فى واقعة قشحب سنة ٧٠٢ هـ وأفتى  
الجنود بضرورة الفطر فى رمضان حتى يقووا على ملاقاتة الأعداء وأفطر هو أمامهم ،  
وكان يبيت ليلاليه على الأسوار حارسا أمينا على أمن بلاده .

ولما عرف عنه من الشجاعة والجرأة ، كان يقصده الناس عند المهمات  
ويلجأون إليه عند الشدائد . فعندما هاجم التتار بلاد الشام سنة ٦٩٩ هـ ،  
وأصبحوا على مشارف دمشق اجتمع الناس بابن تيمية وطلبوا إليه أن يذهب على  
رأس وفد كسفير لهم لمخاطبة ملك التتار فى الامتناع عن دخول دمشق ، ولما دخل  
على ( قازان ) ملك التتار كلمه كلاما أثار دهشة الحاضرين لجرأته وشجاعته ،  
حتى أن قازان نفسه تعجب منه وتساءل : من يكون هذا الشيخ ؟ إني لم أرى مثله  
ولا اثبت قلبا منه . ولا أوقع من حديث فى قلبى . ولا رأيته أعظم انقيادا لأحد  
منه <sup>(٣)</sup> .

ومما قاله لملك التتار فى ذلك : « أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام  
وشيوخ ومؤذنون على ما بلغنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذى عملت ،  
عاهدا فوفيا وأنت عاهدت ففدرت ، وقتلت فما وفيت » وكان فى كلامه هذا خير  
عظيم حيث أخذعهذا من قازان بعدم دخول البلاد .

١ — البداية والنهاية — ج ١٤ حوادث سنة ٧٠٥ — ٨٢٨ .

٢ — البزار : ٦٩ .

٣ — أنظر تاريخ ابن الوردي ٢ — ٢٨٧ — البزار : ٧٢ — ٧٣ .

وفى يوم مرج الصفر فى هذه السنة وقد أوشك اليأس أن يتسرب إلى قلوب الناس من أثر التتار ، فلقد ارتفعت الأسعار وكثر العبث فى البلاد وأراد التتار أن يستولوا على قلعة دمشق . فكتب قبجق إلى النائب بالقلعة أن يسلمها لهم حتى تهدأ الأحوال وتستقر الأمور ، ولكن ما أن تسرب الخبر إلى ابن تيمية حتى نهض إلى النائب وكتب إليه « لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمها له إن استطعت ) . فنزل أرجواش على أمر ابن تيمية وأرسل إلى قبجق يقول له « لن اسلمه لكم وبها عين تطرف » ، فكانت القلعة بذلك حصنا حصينا للمسلمين من أعدائهم .

وفى سنة ٧٠٠ هـ شاع بين الناس أن التتار على مشارف دمشق لمهاجمتها ، فأخذ الناس يتركون البلاد نهبا للأعداء وطلبا للنجاة من جيوش التتار ، ففزع ابن تيمية إلى سلاطين مصر وحكامها يطلب منهم النصرة ومساعدة البلاد واخذ يهدد سلطان مصر قائلا : « إن كنتم اعرضتم عن البلاد وحمايتها أقمنا لها من يحميها ويستغلها فى زمن الأمن . . . ولو قدر أنكم لستم حكام البلاد ولا ملوكها ثم استنصركم مسلم على عدوه لوجب عليكم النصر ، فكيف وانتم حكام البلاد وهم رعاياكم وانتم مسؤولون عنها (١) .

وأكثر ما يكون ابن تيمية شجاعة عندما تواجهه المصائب والمحن ، ففي سنة ٧٠٧ هـ صدر مرسوم السلطان بحبس ابن تيمية لنياله من الصوفية وكلامه فى شأنهم ، وطلب من القضاة والفقهاء الافتاء فى شأنه بالحبس ، ولكن لم يجد الفقهاء للشرعية مأخذا عند الرجل حتى يفتوا فى أمره بالحبس ، وتخير أمرهم فى ذلك ، ولما وجد ابن تيمية الحيرة بادية على وجوههم تقدم بنفسه إلى الحبس قائلا : « أنا أمضى إلى الحبس بنفسى وأتبع ما فيه مصلحة المسلمين (٢) » .

---

١ — البداية والنهاية ١٤ — ١٥ .

٢ — المرجع السابق ١٤ — ١٣٥ وما بعده .



## « محاربته للمنكر » .

لم تكن شجاعة ابن تيمية قاصرة على الجانب الوطنى من حياته ، فإن حبه لدينه وتمسكه به قد أخذ عليه تفكيكه فأخذ يعمل على تنقيته مما علق به من الشوائب وما دخل فيه من البدع والمنكرات التى استفحل أمرها ، واستشرى خطرها على المجتمع .

ولقد اخذ هذا الجانب من حياته شطرا كبيرا من وقته وجهده وتسبب فى إلحاق كثير من الحن والاثامات به ، لأنه اعتبر ظهور البدع والمنكرات فى البلاد الاسلامية مرضاً اجتماعياً حرص على سلامة المجتمع منه ، لأن انتشار الخرافات والبدع فى مجتمع ما نذير فئائه ومقدمة انهياره وكسر شوكته فى أعين أعدائه .

وطالما وقف ابن تيمية من مجتمعه موقف الطبيب الماهر بمآتى المرض وكيفية علاجه ، ولكن العلة كانت قد استفحلت والداء قد استشرى ، فالبدع أصبحت عرفا والمنكر أصبح عادة ومن العسير على المصلح تغيير العرف واستئصال العادة بسهولة .

لهذا فقد بدا ابن تيمية فى أعين مجتمعه وكأنه خارج عن العرف متمرد على العادة ، فكانت حياته سلسلة متصلة الحلقات من الحن والابتلاءات ، ومن المواقف الصعبة التى كان سلاحه فيها السنان حيناً واللسان أحياناً ، وكانت طبيعة الرجل الشجاعة وراء كل مواقف فلم يعبأ بذى سلطان فيتملقه ، أو ذى جاه فيؤاربه ، لأنه كان يملك من الحجج أقواها ومن الأسلحة أحدها .

ومن هنا فقد ناصب العداء لكل ذى بدعة على اختلاف مشاربها ، فتعرض بالنقد والتمحيض لمذاهب الفلاسفة والباطنية والشيعة والصوفية والقرامطة والاسماعيلية وكشف أستار هؤلاء وأولئك ، وانتصر للحق ولدينه منهم جميعاً .

ولقد اشتدت عداوة ابن تيمية للمتصوفة والباطنية وحرص على تخلص مجتمعه من خرافاتهم التى ملكوا بها عقول السذج وذلوا بها أعناق العامة من الناس معلنا لهم أنه لا يوجد طريق الى الله غير طريق محمد عليه صلوات الله ، وليس هناك من هدى سوى هدى القرآن .

وقد اجتمع به الصوفية في حضرة السلطان وكلمه ليكيف عنهم ويترك أحوالهم ، فقال لهم ابن تيمية . « أنه لا يسع احدا الخروج عن الشريعة بقول ولا بفعل ، وان من أراد أن يدخل النار منهم فليغسل جسده في الحمام ثم يدلكه بالخل ثم يدخل النار ، ولو دخل النار لا يلتفت إليه ، لأن هذا نوع من الدجل » . ولما أعياهم الحديث معه انصرفوا قائلين للسلطان : نحن لا تتفق أحوالنا إلا عند التتار ولا تتفق أمام الشريعة<sup>(١)</sup> .

ومع شجاعة ابن تيمية في الحق فقد كان حليما حيث يكون الحلم عزا يشرف صاحبه ، فقد استحثه السلطان قلاوون على أن يستصدر منه فتوى ليقتل العلماء الذين تكرر منهم الافتاء بحبسه ، وكان الفقهاء والقضاة قد ناصروا اعداء الشيخ عليه ، فأراد السلطان أن يستغل الموقف ويستفتي ابن تيمية في قتلهم ، ولكن حلم الرج وعفوه قد منعاه من ذلك ، وابت عليه نفسه الشجاعة أن يقتنصها فرصة لقتل العلماء . فقد قال للسلطان : من آذاني فهو في حل مني . ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه . وأنت إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم ولا مثلهم<sup>(٢)</sup> .

محنته ووفاته :

جرت الطبيعة البشرية على أن كل من علا نجمه واشتهر فضله كثر حساده وكثر الناقمون عليه . وما أكثر حساد ابن تيمية وما أكثر الناقمون عليه فإن لسان الرجل وقلمه لم يجعلا له من صديق ، لأنه لم يدار أحدا ولم يعرف النفاق إلى قلبه سبيلا .

وكان خصوم ابن تيمية في كثير من المحن هم قضاته من الفقهاء ، الذين كبر عليهم مخالفته لهم في فتاواهم وآرائهم . وفي أول محنة له عام ٧٥٠ هـ جئ به إلى مصر تنفيذا لمرسوم السلطان بحبسه ، ولما حضر ابن تيمية أمام القضاة والفقهاء حاول أن يدافع عن نفسه فلم يمكنوه ، وادعى عليه ابن مخلوف بأنه يقول :

«أن الله فوق العرش حقيقة ، وأنه يتكلم بحرف وصوت» . فقال له ابن

١ — العقود الدرية ، ص ١٩٥ .

٢ — العقود الدرية ، ص ١٩٥ .

تيمية : من الذى سيقضى فى ؟ فقال ابن مخلوف : أنا .

فقال ابن تيمية : وكيف تقضى فى وأنت خصمى ؟

فغضب ابن مخلوف وأودعه السجن . وكان ذلك فى يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٧٠٥ هـ . وفى ليلة العيد نقل من حبسه إلى مكان آخر بالحب . وظل ابن تيمية العام التالى سنة ٧٠٦ هـ ذهب بعض علماء مصر الى نائب الخليفة (سيف الدين سلار ) وتكلموا معه فى إخراج الشيخ عن بعض معتقداته . ثم أرسلوا إليه ليحدثوه فى ذلك ، فامتنع من الحضور أمامهم وتكررت الرسل إليه مرات كثيرة لكى يحضر أمامهم ولكنه لم يلتفت إليهم وانقطع أملهم فى الحضور فانصرفوا من عنده .

وفى يوم الجمعة ١٤ من صفر سنة ٧٠٧ هـ ذهب قاضى القضاة ابن جماعة إلى ابن تيمية واجتمع به (فى دار الأوحى ) بالقلعة ، وتحدث معه بشأن خروجه من السجن ، ولكن ابن تيمية رفض الخروج من السجن إلا برفع القيود عنه والرجوع عن الشروط التى اشترطوها معه ، وفى يوم ٢٣ ربيع أول سنة ٧٠٧ هـ حضر إليه الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى بنفسه واجتمع به فى السجن واقسم عليه بالخروج من السجن وهو حر فيما يقول ويعتقد .. ولم يخرج ابن تيمية إلا بعد رفع القيود وإلغاء الشروط التى وضعوها من أجله . وخرج مع الأمير سلار وحضر إليه وفود العلماء والفقهاء وأمر (سلار ) بإقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه .

وفى شوال ٧٠٦ هـ شكى الصوفية منه أمورا إلى الدولة . وادعى ابن عطاء عليه أمورا لم يثبت منها شئ . غير أن الدولة فوضت أمر ابن تيمية إلى الفقهاء ليروا فيه رأيهم حول ما يدعيه الصوفية فبعض الفقهاء قال : ليس على ابن تيمية شئ فيما قال . ورأى ابن جماعة أن ذلك فيه سوء أدب .

ثم خيره الدولة بين امور : ان يسير إلى الاسكندرية أو إلى دمشق بشروط . إما أن يودع السجن . ففضل ابن تيمية حياة السجن على البقاء خارجه مكتم الأفواه . ولكن بعض أصفياء الشيخ ألحوا عليه طلبا فى السفر إلى دمشق فأجابهم إلى ما طلبوا تطبيقا لحاظهم .

وفي ٢٨ شوال ركب البريد الى دمشق . ولم يمض عليه إلا ليلة واحدة ، وفي الغد أرسلوا خلفه بريدا آخر فردوه إلى مصر ثانية . فحضر عند ابن جماعة وكان عنده جمع من الفقهاء . فقال بعضهم أن الدولة لا ترضى إلا بحبس ابن تيمية ، وطلب ابن جماعة من القاضي المالكي أن يحكم بحبس الشيخ فامتنع القاضي وقال ما ثبت عندي ضده شيء فكيف أحكم عله بالحبس ؟

فطلب من نور الدين الزواوي (قاضي المالكية ) فتوقف القاضي أيضا .

ولما رأى ابن تيمية حيرة العلماء بادية على الوجوه في شأن حبسه تقدم هو إلى السجن بنفسه قائلا : أنا أمضي إلى السجن بنفسى واتبع ما فيه المصلحة .

فقال القاضي : يجب أن يكون الشيخ في مكان يصلح لمثله .

فقبل له إن الدولة لا ترضى إلا بمسمى الحبس وارسل الشيخ الى الحبس . وكان كل ذلك بإشارة من نصر الدين المنبجى . وظل الشيخ في سجنه يستفتيه الناس ويكتب لهم بما يحير العقول من المسائل التي عجز غيره عن الافتاء فيها .

ثم خرج الشيخ من سجنه . وارسل إلى الاسكندرية واقام بها فترة رأى خلالها الكثير من ألوان الاضطهاد والارهاب الفكرى ووشى به الصوفية لدى السلطان وحاولوا اغتياله والتخلص منه . غير أن الله قد قيض له ولغيره من حفظة كتابه من دافع عنه وخلصه منهم . ولكنهم نجحوا في إيداعه السجن مرة أخرى بالاسكندرية وسجن معه تلامذته والمنتمون إلى فكره وظل الاضطهاد يلاحقه داخل السجن إلى أن تولى السلطان محمد بن قلاوون الحكم فكان أول ما حرص عليه أن يخرج ابن تيمية من سجنه فطلبه من الاسكندرية يوم عيد الفطر عام ٧٠٩ هـ فجاء الشيخ معززا مكرما . ودخل على السلطان في ٨ شوال . واجتمع به السلطان وحاول أن يصلح بينه وبين الفقهاء الذين أفتوا بسجنه .

وكانت حياة ابن تيمية داخل السجن احب إليه من حياة يجبر المرء فيها على النفاق أو السكوت على الباطل وهذا نموذج من محاكمة الشيخ ومواقف الفقهاء والقضاة منه . واستمرت حياة ابن تيمية على هذا النحو . فما كان يخرج

من السجن إلا ليودع في غيوة ، وما كانت تنتهى محاكمة إلا لتبدأ أخرى ، وكان القضاة والفقهاء يتقربون إلى السلطان بالمسارعة بالحكم على ابن تيمية والافتاء ضده . ولم يضجر ابن تيمية من كل ما نزل به ولم ييأس من نشر دعوته في تصحيح المفاهيم الاسلامية في قلوب الناس . وكان يطمئن أصحابه ويقول لهم : ما يصنع أعدائي بي . أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما رحلت فهمي معي . إن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن أخرجوني من بلدي فخرجي سياحه ، وإن قتلوني فقتل شهادة في سبيل الله إن في صدري كتاب الله وسنة رسوله .

وكان آخر ما وقع للشيخ ما جرى سنة ٧٢٦ هـ بسبب بعض آرائه .

ففى يوم الجمعة ١٠ شعبان سنة ٧٢٦ هـ قرىء بجامع دمشق مرسوم سلطاني يمنع الشيخ من الافتاء واعتقاله . وحضر إليه ابن الخطيرى بدمشق واخبره بأمر السلطان ، فقال ابن تيمية : وأنا كنت منتظرا لذلك . وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة ، ودخل الشيخ إلى باب القلعة معتقلا . وفى يوم الاربعاء منتصف الشهر المذكور أمر قاضى القضاة باعتقال أصحاب ابن تيمية وتلامذته وعزّر جماعة منهم نودى بهم فى الأسواق والطرقات تشهيرا بهم وتنكيلا فيهم .

وظل ابن تيمية فى سجنه سنتين واشهرا . وقد افتى بحبسه هذه المرة طائفة من أهل الأهواء على رأسهم القاضى المالكى الاخنائى .

وسبب سجنه فى هذه المرة أنه أراد أن يصحح عقائد المسلمين فى مسألة الزيارة وشد الرحال إلى المساجد وقبور الأولياء . فدبر أعداؤه الحيلة فى فتواه وحرفوا كلمه وألفاظه وشنعوا عليه بما لم يقل به . وهذا أمر غير بعيد ولا مستبعد فإن هذه الحيلة هى وسيلة السلطة فى كل عصر ، تتخلص بها ممن تريد من العلماء العاملين الذين لم ينافقوا ولم يركنوا إلى وسلية الرياء أو المداينة طلبا للنجاة ، مع أن ابن تيمية لم يمنع ، زيارة القبور ، ولم يقل ذلك ولم يمنع زيارة قبر الرسول ، وفتواه فى ذلك موجودة لمن أراد أن يصحح فهمه وانما الذى منعه من ذلك هو شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة التى ذكرها الرسول فى حديثه ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ) الخ .

وَمَلَكَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا يَفْهَمُ خُصُومَهُ وَلَكِنْ مَا كَانَ يَرْضَى هَؤُلَاءِ إِلَّا حَبْسَ الرَّجُلِ وَإِسْكَاتَ لِسَانِهِ وَقَلَمِهِ .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ التَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَخْرَجَ مَا كَانَ عِنْدَ الشَّيْخِ فِي سَجْنِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَوْرَاقِ وَالِدَوَاةِ وَالْقَلَمِ ، وَمَنْعَ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ ، وَحَمَلَتْ كُتُبُهُ فِي مَسْتَهْلٍ رَجَبَ إِلَى خَزَانَةِ الْكُتُبِ بِالْعَادِلِيَةِ الْكُبْرَى ، وَكَانَتْ نَحْوَ سِتِينَ مَجْلِدًا وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ رَابِطَةً كَرَارِيْسَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الْفُقَهَاءُ وَتَوَزَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ

وَلَمَّا مَنَعَ عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ هَذَا الزَّادَ الرُّوحِي الَّذِي كَانَ أَنْيَسَهُ فِي سَجْنِهِ اشْتَدَّتْ بِهِ عُلَّتُهُ ، وَازْدَادَ بِهِ الضِّيقُ مِنَ الْمَعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ . غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ الْحَالِ لَمْ تَدَمْ طَوِيلًا . إِذْ فَاضَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ إِلَى بَارِئِهَا وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ لِعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٨٢٨ هـ ، وَمَاتَ الرَّجُلُ فِي سَجْنِهِ كَمَا يَقْضِي عِظَمَاءُ الرِّجَالِ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقَاثِدِ الثَّابِتَةِ وَالْإِيمَانِ الرَّاسِخِ الَّذِي يُجْعَلُ مِنْ صَاحِبِهِ غُصَّةٌ فِي حُلُوقِ أَعْدَائِهِ فَلَا يَتَنَفَّسُونَ إِلَّا فِي غَيْبَتِهِ ، وَلَا يَنْعَمُونَ بِالْحَيَاةِ إِلَّا بَعْدَ رَحِيلِهِ .

وَقَدْ كَانَتْ جَنَازَةُ الشَّيْخِ مِثْلًا وَاضِحًا لِقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : قَوْلُوا لِأَهْلِ الْبَدْعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شُهُودُ الْجَنَائِزِ .

فَقَدْ شَهِدَ جَنَازَةَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَحْصُرُهُ عَدَدٌ . يَقُولُ ابْنُ الْبِرْزَالِيِّ : لَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ دِمَشْقَ لَجَنَازَةِ الشَّيْخِ اجْتِمَاعًا لَوْ جَمَعَهُمْ سُلْطَانُ قَاهِرَ وَدِيَّوَانُ حَاصِرٍ لَمَّا بَلَغُوا هَذِهِ الْكِبَرَةَ الَّتِي اجْتَمَعُوا فِي جَنَازَتِهِ ، وَاتَّهَوْا إِلَيْهَا . وَيَعْلُقُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ بِالْقَلْعَةِ مَحْبُوسًا مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَةِ يَذْكُرُونَ عَنْهُ لِلنَّاسِ أُمُورًا مَنفَرَةً لِأَهْلِ الْأَدْيَانِ . فَهَذَا كَلَامُهُمْ فِيهِ وَهَذِهِ جَنَازَتُهُ . وَالْفَرْقُ كَبِيرٌ بَيْنَ الْحَالِ وَالْمَقَالِ .

وَهَذِهِ الْجَنَائِزُ هِيَ الْحُدُ الْفَاصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَدْعِ وَأَهْلِ السُّنَنِ .

وَالتَّارِيخُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِمَّا يَدُورُ فِي أَيَّامِهِ وَلِيَالِيهِ ، فَإِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ قَدْ قِيلَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِمَّا يَعْابُ عَلَيْهِ . كَمَا قِيلَ وَيُقَالُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقَاثِدِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَاكِرَةَ التَّارِيخِ لَا تَنْسَى شَيْئًا . فَهَذَا تَرَاثُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَهَذِهِ آرَؤُهُ . مَأْدَبَةٌ شَهِيَّةٌ لِمَنْ سَلِمَتْ مِنْهُ النُّوَايَا وَصَدَقَتِ الْعَزِيمَةُ . وَمَا حَدَثَ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ قَدْ يَحْدُثُ لَغَيْرِهِ ،

وما شنع به على ابن تيمية قد يشنع به على غيره ، ولكن الزبد سوف يذهب جفاء  
ولما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. وهذه سنة الله في خلقه .

فما جرى بالأمس قد يجري اليوم . وقد يجري غدا وعلى المرء أن يعي دروس  
التاريخ .

رحم الله ابن تيمية ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير جزاء

د. محمد الجليند







## فصل

### في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : هو الذي أنزل الله به كتبه . وأرسل به رسله . وهو من الدين .

فإن رسالة الله : إما إخبار ، وإما إنشاء . فالإخبار : عن نفسه ، وعن خلقه مثل التوحيد ، والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد . والإنشاء : الأمر والنهي والإباحة .

وهذا كما ذكر في الحديث أن (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)<sup>(١)</sup> لتضمنها الثلث الذي هو التوحيد . إذ القرآن : قصص ، وتوحيد ، وأمر .

وقوله سبحانه في صفة نبينا ﷺ : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات . ويحرم عليهم الخبائث)<sup>(٢)</sup> هو بيان لكمال رسالته . فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف . ونهى عن كل منكر . وأحل كل طيب . وحرم كل خبيث .

ولهذا روى عنه ﷺ أنه قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)<sup>(٣)</sup> .

---

١ - ورد الحديث في : ابو داود (كتاب الوتر . باب في سورة الصمد) حديث رقم (٣٥٣) ص (١٥٢) ، الترمذي ١١ / ٢٢ ٢٣ (باب ثواب القرآن) ، النسائي ٢ / ١٧٠٠ (كتاب الافتتاح) ، ابن ماجه (كتاب الادب . باب ثواب القرآن) ص (١٢٤٤) حديث رقم (٣٧٨٨) ، الموطأ (كتاب الصلاة) ص (١٦٦) حديث رقم (٣٣٢) .

٢ - سورة الاعراف : ١٥٧ .

٣ - ورد الحديث في موطأ مالك (٥ / ٢٥١) وفيه (إنما بعثت لأتمم حسن الخلق) وفي ابن حنبل ٢ / ٣٨١ .

وقال في الحديث المتفق عليه : (إنما مثلى ومثل الأنبياء : كمثل رجل بنى داراً . فأتمها وأكملها إلا موضع لبنه ، فكان الناس يطوفون بها ، ويعجبون من حسنها ، ويقولون : لولا موضع اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة)<sup>(١)</sup> .

## ديننا يتضمن الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر

فيه أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف ، والنهي عن كل منكر ، وإحلال كل طيب ، وتحريم كل خبيث .

وأما من كان قبله من الرسل : فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات كما قال الله تعالى : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)<sup>(٢)</sup> .

وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث ، كما قال تعالى : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ، من قبل أن تنزل التوراة)<sup>(٣)</sup> .

وتحريم الخبائث : يندرج في معنى النهي عن المنكر ، كما أن إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف . لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه . وكذلك الأمر بجميع المعروف ، والنهي عن كل منكر : مما لم يتم إلا لرسول الله الذي تم الله به مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف . وقد قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً)<sup>(٤)</sup> فقد أكمل الله لنا الدين . وأتم علينا النعمة . ورضى لنا الإسلام ديناً .

---

١ — ورد الحديث في البخارى ( كتاب المناقب . باب خاتم النبيين ) ٤ / ٢٦١ ، مسلم ١ / ١٧٩ .

٢ — سورة النساء : ١٦٠ .

٣ — سورة آل عمران : ٩٣ .

٤ — سورة المائدة : ٢١ .

وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها ، حيث قال : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس . تأمرون بالمعروف . وتنهون عن المنكر . وتؤمنون بالله )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر )<sup>(٢)</sup> . ولهذا قال أبو هريرة رضى الله عنه : كنتم خير الناس للناس . تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة )<sup>(٣)</sup> .

فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس . فهم أنفعهم لهم . وأعظمهم إحساناً إليهم . لأنهمكملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر ، حيث أمروا بكل معروف ، ونهوا عن كل منكر لكل أحد ، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم . وهذا كمال النفع للخلق .

وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ، ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ، ولا جاهدوا على ذلك ، بل منهم من لم يجاهد . والذين جاهدوا — كبنى إسرائيل — فعمامة جهادهم : كان لدفع عدوهم عن أرضهم ، كما يُقاتل الصائل الظالم ، لا لدعوة المجاهدين إلى الهدى والخير . ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كما قال موسى لقومه : ( يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم . ولا تتردوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فإن يخرجوا منها فإننا داخلون — إلى قوله — قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ههنا قاعدون )<sup>(٤)</sup> .

١ — آل عمران : ١١٠ .

٢ — التوبة : ٧١ .

٣ — أورده البخارى موقوفاً على ابى هريرة بلفظ ( . . . تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا

الجنة ) . ٨ ، ٢٢٤

٤ — المائدة : ٢١ — ٢٤ .

وقال تعالى : (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ؟ إذ قالوا لنبي لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ؟ قالوا : (ومالنا لا نقاتل في سبيل الله ؟ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا)<sup>(١)</sup> ، فعللوا القتال : بأنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم . ومع هذا كانوا ناكلين عما أمروا به من ذلك . ولهذا لم تحل لهم الغنائم . ولم يكونوا يطؤون بملك اليمين .

ومعلوم أن أعظم الأمم المؤمنين قبلنا : هم بنو إسرائيل ، كما جاءنا في الحديث المتفق على صحته في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : (عرضت على البارحة الأنبياء بأممهم . فجعل النبي يمر ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان . والنبي ومعه الرهط . والنبي وليس معه أحد . ورأيت سوادا كثيرا — وفي رواية : فإذا الطراب ممتلئة بالرجال — فقلت : هذه أمتي ؟ فقليل هؤلاء بنو إسرائيل . ولكن أنظر هكذا وهكذا . فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق . قيل : هؤلاء أمتك . ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . فتفرق الناس . ولم يبين لهم . فتذاكر اصحاب النبي ﷺ ، فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكننا آمنّا بالله ورسوله . ولكن هؤلاء أبنائنا ؟ فبلغ النبي ﷺ . فقال : هم الذين لا يكتون . ولا يسترقون ولا يتطيرون . وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقام آخر ، فقال أمنهم أنا ؟ فقال سبقك بها عكاشة)<sup>(٢)</sup> .

ولهذا كان اجماع هذه الأمة حجة . لأن الله تعالى أخبر :أنهم يأمرون بكل معروف . وينهون عن كل منكر . فلو اتفقوا على إباحة محرم ، أو إسقاط واجب أو تحريم حلال ، أو إسقاط واجب ، أو تحريم حلال ، أو إخبار عن الله تعالى أو خلقه بباطل : كانوا متصفين بالأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف . والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح . بل آلاية تقتضى : أن مالم تأمر

١ — البقرة : ٢٤٦ .

٢ — أورده ابن حنبل ١ / ٤٠١ ، ٤٠٣ ، وفي البخارى ١٠ / ٢١١ .

به الأمة : فليس من المعروف ، ومالم تنه عنه : فليس من المنكر . إذا كانت آمرة بكل معروف ، ناهية عن كل منكر . فكيف يجوز أن تأمر كلها بمنكر ، أو تنهى كلها عن معروف ؟ .

### يجب الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر

والله سبحانه وتعالى — كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر — فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . وأولئك هم الفلاحون)<sup>(١)</sup> .

وإذا أخبر الله بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها ، لم يكن من شرط ذلك : أن يصل أمر الأمر ونهى الناهي منها إلى كل مكلف في العالم . إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة . فكيف يشترط فيما هو من توابعها ؟ بل الشرط : أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم . ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم — مع قيام فاعله بما يجب عليه — كان التفريط منهم لا منه .

وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يجب على كل أحد بعينه . بل هو على الكفاية ، كما دل عليه القرآن .

ولما كان الجهاد من تمام ذلك : كان الجهاد أيضاً كذلك . فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه : أثم كل قادر بحسب قدرته . إذا هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته . كما قال النبي ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٢)</sup> .

---

١ — آل عمران : ١٠٤ .

٢ — ورد الحديث في البخارى ( كتاب العلم ) ، مسلم ٢ / ٢١ — ٢٢ ( كتاب الايمان ) ، ابو داود ٤ / ٥١١ ( باب الامر والنهي ) حديث رقم ٤٣٤٠ ، ابن ماجه ( كتاب الفتن . باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ) ٣ / ١٣٣١ . حديث رقم ( ٤٠١٣ ) ، الترمذى ( كتاب الرؤيا ) ، النسائى ( كتاب الايمان ) ، الدرامى ( كتاب الرؤيا ) ، ابن حنبل ٢ / ٤ .

وإذا كان كذلك ، فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإتمامه بالجهاد : هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به . ولهذا قيل : (ليكن أمرك بالمعروف [معروفاً]، ونهيك عن المنكر غير منكر) .

وإذا كان هذا من أعظم الواجبات أو المستحبات . فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة . إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب . والله لا يحب الفساد . بل كل ما أمر الله به فهو صلاح . وقد أثنى الله على الصالح والمصلحين ، والذين آمنوا وعلموا الصالحات . وذم الفساد والمفسدين في غير موضع .

فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته : لم يكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم . إذ المؤمن عليه أن يتقى الله في عباد الله وليس عليه هداهم .

وهذا من معنى قوله تعالى : (يأأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)<sup>(١)</sup> والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب .

فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — كما قام بغيره من الواجبات — لم يضروه ضلال الضال .

وذلك يكون تارة بالقلب . وتارة باللسان . وتارة باليد .

فأما القلب : فيجب بكل حال . إذا لا ضرر في فعله . من لم يفعله فليس هو بمؤمن ، كما قال النبي ﷺ : (وذلك أدنى — أو أضعف الايمان) ، وقال : (ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) وقيل لابن مسعود رضى الله عنه : (من ميت الأحياء ؟ فقال : الذي لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً) وهذا هو المفتون الموصوف

---

١ — ما بين المعقوفتين ليس بالأصل .

٢ — المائدة : ١٠٥ .

بأن قلبه (كالكوز مجخياً) <sup>(١)</sup> في حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما في الصحيحين (تعرض الفتن على القلوب عرض الحصر) <sup>(٢)</sup> ... الحديث .

## الناس فريقان في الأمر والنهى

وهنا يغلط فريقان من الناس ..

فريق يترك ما يجب عليه من الأمر والنهى ، تأويلا لهذه الآية . كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه في خطبته : (أيها الناس ، إنكم تقرؤون هذه الآية (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإنكم تضعونها على غير موضعها . وإنى سمعت النبي ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) <sup>(٣)</sup> .

والفريق الثانى : من يريد أن يأمر وينهى — إما بلسانه ، وإما بيده — مطلقاً من غير فقه ، ولا حلم ولا صبر ، ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، كما في حديث أئى ثعلبة الخشنى سألت عنها — يعنى الآية — رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمروا بالمعروف ، وانهاؤا عن المنكر . حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه . ورأيت أمراً لا يدان لك به ، فعليك بنفسك . ودع عنك أمر العوام . فإن من ورائك أياما للصبر . فيهن مثل قبض على الجمر . للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً

١ — بمعنى غير المعتدل .

٢ — ورد الحديث في مسلم ( كتاب الايمان . باب رفع الامانة وعرض الفتن على القلوب ) ، ابن حنبل . ٣٨٦ / ٥ .

٣ — ورد الحديث بتمامه في تفسير الآية المذكورة في كل من الطبرى ١١ / ١٣٧ وابن كثير ٢ / ٦٦٧ ، وانظر ابن ماجه ( كتاب الفتن . باب قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . . ) الآية ص ( ١٣٣ ) . وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما يظن ذلك بعض الناس . قال الترمذى عن ائى أمية : سألت أبا ثعلبة فقلت له كيف تصنع في هذه الآية . ؟ فقال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً . سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر . حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً . ودنيا مؤثرة . وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك . . الحديث .

يعملون مثل عمله <sup>(١)</sup> فيأتى بالأمر والنهى معتقدا أنه مطيع لله ولرسوله . وهو معتد فى حدوده ، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهى ، كالحوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهى على ذلك . وكان فساده أعظم من صلاحه .

## الصبر على جور الأئمة

ولهذا أمر النبى ﷺ (بالصبر على جور الأئمة . ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة) ، وقال : (أدوا إليهم حقوقهم . وسلوا الله حقوقكم) <sup>(٢)</sup> وقد بسطنا القول فى ذلك فى غير هذا الموضع .

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة : لزوم الجماعة ، وترك قتال الأئمة ، وترك القتال فى الفتنة .

وأما أهل الأهواء — كالمعتزلة — فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم .

وتجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة (التوحيد) الذى هو سلب الصفات . و (العدل) الذى هو التكذيب بالقدر . و (المنزلة بين المنزلتين) (وانفاذ الوعيد) (والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) الذى فيه قتال الأئمة . وقد تكلمت على قتال الأئمة فى غير هذا الموضع .

---

١ — انظر : ابن ماجة ٣ / ١٣٣٠ . (كتاب الفتن . باب قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) حديث رقم (٤٠١٤) ، الترمذى ١١ / ١٨١ . (ابواب التفسير) ، أبو داود ٤ / ١٥٢ . (كتاب الملاحم . باب الأمر والنهى) حديث رقم (٤٣٤١) . وانظر هامش رقم (٣) ص (٧) .

٢ — ورد الحديث فى البخارى ٦ / ٦١٢ بلفظ مختلف ، مسلم (٤) حديث رقم (١٨٤٣) ، ابن حنبل ١ / ٤٣٢ ، الترمذى ٤ / ٤٨٢ (كتاب الفتن) حديث رقم (٢١٩٠) .



## درة المفسدة مقدم على جلب المصلحة

وجماع ذلك : داخل في القاعدة العامة ، فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزامنت . فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد .

فإن الأمر والنهي — وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ، ودفع مفسدة — فينظر في المعارض له . فإن كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من المفاسد : أكثر . لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً ، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته .

لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة . فمتى قدر الانسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر . وقُلْ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالاتها على الأحكام .

وعلى هذا : إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لا يفرقون بينهما ، بل إما أن يفعلوها جميعاً ، أو يتركوها جميعاً : لم يجز أن يؤمروا بمعروف ، ولا ينهوا عن منكر ، بل ينظر ، فإن كان المعروف أكثر : أمر به . وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله ، والسعى في زوال طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وزوال فعل الحسنات .

وإن كان المنكر أغلب : نهى عنه . وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه : أمراً بمنكر ، وسعياً في معصية الله ورسوله .

وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان : لم يأمر بهما . ولم ينه عنهما . فتارة يصلح الأمر ، وتارة يصلح النهي ، وتارة لا يصلح لأمر ولا نهى ، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين . وذلك في الأمور المعينة الواقعة .

وأما من جهة النوع<sup>(١)</sup> : فيؤمر بالمعروف مطلقاً ، وينهى عن المنكر مطلقاً .

١ — سبق الحديث عن المعروف من جهة القدر في ص (٣) .

وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة : يؤمر بمعرفها ، وينهى عن منكرها .  
ويحمد محمودها . ويذم مذمومها ، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر  
منه ، أو حصول منكر فوقه . ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر  
منه ، أو فوات معروف أرجح منه .

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن ، حتى يتبين له الحق . فلا يقدم على الطاعة  
إلا بعلم ونية . وإذا تركها كان عاصياً . فترك الأمر الواجب معصية . وفعل ما نهى  
عنه من الأمر معصية . وهذا باب واسع . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن هذا الباب : ترك النبي ﷺ لعباد الله بن أوى ابن سلول وأمثاله من أئمة  
النفاق والفجور ، لما لهم من أعوان . فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة لإزالة  
معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحيتهم ، وينفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله  
ﷺ يقتل أصحابه . ولهذا لما خطب الناس في قضية الافك بما خطبهم به ،  
واعتذر عنه ، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه : حمى له سعد بن  
عبادة — مع حسن إيمانه وصدقه — وتعصب لكل منهم قبيلة حتى كادت تكون  
فتنة<sup>(١)</sup> .

## فصل

### الحب والبغض تبع لحب الله وبغضه

وأصل هذا : أن تكون محبة الانسان للمعروف وبغضه للمنكر ، وإرادته لهذا  
وكراهته لهذا : موافقا لحب الله وبغضه ، وإرادته وكراهته الشرعين : وأن يكون فعله  
للمحبيب ، ودفعه للمكروه ، بحسب قوته وقدرته . فإن الله لا يكلف نفسا إلا  
وسعها . وقد قال ( فاتقوا الله ما استطعتم )<sup>(٢)</sup> حازمة ، لا توجب نقص ذلك  
إلا بنقص الإيمان . وأما فعل البدن : فهو بحسب قدرته .

١ — ما بين المقوفين : ليس بالأصل .

٢ — سورة التغابن : ١٦ .

ومتى كانت إدارة القلب وكرهته كاملة تامة ، وفعل العبد معها حسب قدرته . فإن يعطى ثواب الفاعل الكامل ، كما قد بيناه في غير هذا الموضوع .

فإن من الناس من يكون حبه وبغضة وإرادته وكرهته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا يحسب محبة الله ورسوله ، وبغض الله ورسوله . وهذا من نوع الهوى . فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ )<sup>(١)</sup> فإن أصل الهوى : هو محبة النفس . ويتبع ذلك بعضها .

ونفس الهوى — وهو الحب والبغض الذى فى نفس — لا يلام العبد عليه . فإن ذلك قد لا يملكه . وإنما يلام على اتباعه ، كما قال تعالى : ( يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض . فأحكم بين الناس بالحق . ولا تتبع الهوى فىضلك عن سبيل الله )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ )<sup>(٣)</sup> وقال النبى ﷺ « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الفقر والغنى . وكلمة الحق فى الغضب والرضى . وثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

والحب والبغض يتبعه دوق عند وجود المحبوب والمبغوض ، ووجد وإرادة وغير ذلك . فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله : فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه .

واتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الأهواء فى المشهيات .

فإن لأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرىين ، كما قال الله تعالى : ( فإن لم يستجيبوا لك فأعلم أنما يتبعون أهواءهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . والله لا يهدى القوم الظالمين )<sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ( ضرب لكم مثلا من أنفسيكم . هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم . فأنتم فيه سواء ، تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون . بل اتبع الذين

١ — سورة القصص : ٥٠ .

٢ — سورة ( ص ) : ٢٦ .

٣ — سورة القصص : ٥٠ .

٤ — سورة القصص : ٥٠ .

ظلموا أهواءهم بغير علم . فمن يهdy من أضل الله ؟ وما لهم من ناصرين )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه . وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم . إن ربك هو أعلم بالمعتدين )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( قل : يا أهل الكتاب ، لا تغلّوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل ، وأضلّوا كثيراً . وضلّوا عن سواء السبيل )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملهم . قل : إن هدى الله هو الهدى . ولن اتبع أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير )<sup>(٤)</sup> . وقال فى الآيات الأخرى : ( ولن اتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين )<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله . ولا تتبع أهواءهم . واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك )<sup>(٦)</sup> .

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة — من المنسويين إلى العلماء والعباد — يجعل من أهل الأهواء ، كما كان السلف رحمهم الله يسمونهم « أهل الأهواء » .

وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه . والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذى بعث به رسوله ﷺ . ولهذا قال تعالى : فى موضع ( وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم )<sup>(٧)</sup> وقال فى موضوع آخر : ( ومن أضل ممن تبع هواه بغير هدى من الله ؟ )<sup>(٨)</sup> .

١ — سورة الرعم : ٢٨ — ٢٩ .

٢ — سورة الأنعام : ١١٩ .

٣ — سورة المائدة : ٧٧ .

٤ — سورة البقرة : ١٣٠ .

٥ — سورة البقرة : ١٤٥ .

٦ — سورة المائدة : ٤٩ .

٧ — سورة الأنعام : ١١٩ .

٨ — سورة القصص : ٥٠ .

فالواجب على العبد : أن ينظر في نفس حبه وبغضه . ومقدار حبه وبغضه : هل هو موافق الأمر الله ورسوله ؟ وهو هدى الله الذى أنزله على رسوله ﷺ ، بحيث يكون مأموراً بذلك الحب والبغض . لا يكون متقدماً فيه بين يد الله ورسوله . فإن الله تعالى قد قال : ( يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يد الله ورسوله )<sup>(١)</sup> .

ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله : ففيه نوع من التقدم بين يدى الله ورسوله . ومجرد الحب والبغض هوى . لكن المحرم منه : اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله . ولهذا قال لنبيه داود ( ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد )<sup>(٢)</sup> .

فأخبر : أن من اتبع هواه .. أضله ذلك عن سبيل الله . وسبيل الله هو هداه الذى بعث به رسوله ، وهو السبيل إليه .

وتحقيق ذلك : أن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : هو من اوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها . وقد قال تعالى : ( ليلوكم : أيكم أحسن عملاً ؟ )<sup>(٣)</sup>

وهو كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : أخلصه وأصوبه . فإن العمل إذا كان خالصاً : ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

فالعمل الصالح : لا بد أن يراد به وجه الله تعالى . فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجه وحده . كما في الحديث الصحيح عن أنس هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه بريء . وهو كله للذى أشرك » .

---

١ — سورة الحجرات : ١ .

٢ — سورة ص : ٢٦ .

٣ — سورة الملك : ٢ .

وهذا هو التوحيد الذى هو أصل الإسلام . وهو دين الله الذى بعث به جميع  
رسله . وله خلق الخلق ، وهو حقه على عباده : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

ولا بد — مع ذلك — أن يكون العمل صالحاً ، وهو ما امر الله به  
ورسوله ، وهو الطاعة . فكل طاعة عمل صالح ، وكل عمل صالح طاعة . وهو  
العمل المشروع المسنون ، العمل المشروع المسنون : هو المأمور به أمر إيجاب ،  
أو إستحباب ، وهو العمل الصالح ، وهو الحسن ، وهو البر ، وهو الخير ، وضده :  
المعصية ، والعمل الفاسد والسيئة ، والفجور ، والظلم .

ولما كان العمل لا بد فيه من شيئين : النية ، والحركة . كما قال النبي ﷺ :  
« أصدق الأسماء حارث ، وهمام »<sup>(١)</sup> فكل أحد حارث همام : له عمل ونية . لكن  
النية المحمودة التى يقبلها الله ، ويثيب عليها : هى أن يراد الله وحده بذلك العمل .

والعمل المحمود : هو الصالح ، وهو المأمور به . ولهذا كان عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه يقول فى دعائه : « اللهم إجعل عملى كله صالحاً ، واجعله لوجهك  
خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً » .

وإذا كان هذا حد كل عمل صالح ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :  
يجب أن يكون كذلك ، هذا فى حق الأمر الناهى نفسه .



---

١ — ورد الحديث فى ابى داود ٤ / ٢٨٨ ، الترمذى ٦ / ٢١٨ والحديث برواية ابى وهب الجشمى فى ابى  
داود . قيل وكانت له صحبة .

## فصل

### شروط الأمر والنهي

١ — ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقه . كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بغير علم : كان ما يفسد أكثر مما يصلح » كما في حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه : « العلم أمام العمل ، والعمل تابعه » وهذا ظاهر . فإن القصد والعمل : إن لم يكن بعلم كان جهلاً ، وضلالاً ، واتباعاً للهوى ، كما تقدم . وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية ، وأهل الإسلام . فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر ، والتمييز بينهما . ولا بد من العمل بحال المأمور وحال المنهى .

٢ — ومن الصلاح : أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم . والصراط المستقيم : أقرب الطرق الموصل إلى حصول المقصود .

٣ — ولا بد في ذلك من الرفق كما قال النبي ﷺ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه . ولا كان العنف في شيء إلا شانه » <sup>(١)</sup> وقال ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف » <sup>(٢)</sup> .

٤ — ولا بد أيضاً أن يكون حليماً ، صبوراً على الأذى . فإنه لا بد أن يحصل له أذى . فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه : ( وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر . واصبر على ما أصابك . إن ذلك من عزم الأمور ) <sup>(٣)</sup> .

١ — ورد الحديث في مسلم حديث رقم (٢٥٩٤) ، ابن ماجه .

٢ — ورد الحديث في البخارى ١٢ / ٢٨٠ من فتح البارى على شرح صحيح البخارى ( كتاب الاستئابة ) ، مسلم ( كتاب السير ) ٨ / ٢٢ ابو داود ( كتاب الأول ) ٥ / ١٥٥ ، الترمذى ٥ / ٦٠ حديث رقم (١٧٠١) ابن ماجه ٢ / ١٢١٦ . ( كتاب الأدب . باب في الرفق ) . الدرهمى ٢ / ٣٢٣ ابن حنبل ١ / ١١٢ .

٣ — سورة لقمان : ١٧ .

ولهذا أمر الله الرسل — وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — بالصبر كقوله لخاتم الرسل ﷺ ، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة . فإن أول ما أرسل أنزلت عليه سورة ( يأيها المدثر ) بعد أن أنزلت عليه سورة ( اقرأ ) التي بها نبئ . فقال الله تعالى : ( يأيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فأهجر . ولا تمشن تستكثر . ولربك فاصبر )<sup>(١)</sup> .

فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالندارة . وختمها بالأمر بالصبر . ونفس الإنذار أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر . فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر . وقال تعالى : ( واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأً جميلاً )<sup>(٣)</sup> ، وقال : ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل )<sup>(٤)</sup> ، وقال : ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت )<sup>(٥)</sup> ، وقال : ( واصبر وما صبرك إلا بالله )<sup>(٦)</sup> وقال : ( واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين )<sup>(٧)</sup> .

فلا بد من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر . العلم قبل الأمر والنهي . والرفق معه . والصبر بعده .

وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال .

وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف — ورووه مرفوعاً — ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد « لا يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر : إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به . فقيهاً فيما ينهى عنه . رفيقاً فيما يأمر به . رفيقاً فيما ينهى عنه . حليماً فيما يأمر به . حليماً فيما ينهى عنه » وليعلم — أن الأمر بهذه

١ — سورة المدثر : ١ — ٧ .

٢ — سورة الطور : ٤٨ .

٣ — سورة الزمل : ١٠ .

٤ — سورة الأحقاف : ٣٥ .

٥ — سورة القلم : ٤٨ .

٦ — سورة النحل : ١٢٧ .

٧ — سورة هود : ١١٥ .



الخصال في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : مما يوجب صعوبته على كثير من النفوس . فيظن أنه بذلك يسقط عنه فידعه . وذلك مما يضره الأمر بدون هذه الخصال ، أو أقل . فإن ترك الأمر الواجب معصية ، وفعل ما نهى الله عنه في الأمر معصية . فالمنتقل من معصية إلى معصية كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطل ، قد يكون الثاني شراً من الأول . وقد يكون دونه ، وقد يكونا سواء . فهكذا تجد المقصر في الأمر والنهي ، والمعتدى فيه . قد يكون ذنب هذا أعظم ، وقد يكون ذنب هذا أعظم ، وقد يكونان سواء .

### ( فصل )

المعاصي سبب المصائب : من الأثم . والطاعة سبب النعم .

ومن المعلوم — بما أَرانا الله من آياته في الآفاق ، وفي أنفسنا ، وبما شهد به في كتابه : أن المعاصي سبب المصائب . فسيئات المصائب والجزاء : من سيئات الأعمال . وأن الطاعة سبب النعمة . فأحسان العبد العمل سبب لإحسان الله . قال تعالى : ( وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم . ويعفو عن كثير )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا . ولقد عفا الله عنهم )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا . قَلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا ؟ : قل هو من عند أنفسكم )<sup>(٤)</sup> وقال : ( أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ )<sup>(٥)</sup> ، وقال : ( وإن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ )<sup>(٦)</sup> ، وقال تعالى : ( وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون )<sup>(٧)</sup> .

١ — سورة الشورى : ٣٠ .

٢ — سورة النساء : ٧٩ .

٣ — سورة آل عمران : ١٥٥ .

٤ — سورة آل عمران : ١٦٥ .

٥ — سورة الشورى : ٣٤ .

٦ — سورة الشورى : ٤٨ .

٧ — سورة الأنفال : ٣٣ .

وقد أخبر الله سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم — كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وقوم فرعون — في الدنيا . وأخبر بما سيعاقبهم به في الآخرة . ولهذا قال مؤمن آل فرعون : ( يا قوم ، إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم . وما الله يريد ظملاً للعباد . ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين . ما لكم من الله من عاصم . ومن يُضِلِل الله فما له من هاد ) (١) .

وقال تعالى : ( كذلك العذابُ . والعذابُ الآخرة أكبر ) (٢) ، وقال : ( سُنْعُهُمْ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ) (٣) ، وقال : ( وَلَنُذِيقَنَّهُمُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) (٤) ، وقال : ( فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ — إِلَىٰ قَوْلِهِ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ . إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ) (٥) .

ولهذا يذكر الله في عامة سور الإنذار ما عاقب به أهل السيئات في الدنيا وما أعدّه لهم في الآخرة . وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط . إذ عذاب الآخرة أعظم . وثوابها أعظم . وهي دار القرار . وإنما يذكر ما يذكره من الثواب والعقاب في الدنيا تبعاً . كقوله في قصة يوسف : ( وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ . يَتَّبِعُونَ ) (٦) منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء . ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ) (٧) وقال : ( فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ) (٨) ، وقال : ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا

١ — سورة غافر : ٣٠ — ٣٣ .

٢ — سورة القلم : ٣٣ .

٣ — سورة التوبة : ١٠١ .

٤ — سورة السجدة : ٢١ .

٥ — سورة الدخان : ١٠ — ١٦ .

٦ — سورة يوسف : ٥٦ — ٥٧ .

٧ — سورة آل عمران : ١٤٨ .

حسنة . ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون )<sup>(١)</sup> ، وقال عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام : ( وآتيناه أجره في الدنيا . وإنه في الآخرة لمن الصالحين )<sup>(٢)</sup>

وأما ذكره لعقوبة الدنيا والآخرة ففي سورة النازعات ، إذ قال : ( والنازعات غرقا والناشطات نشطا — ثم قال — يوم تَرْجَفُ الراجفة تتبعها الرادفة ) فذكر القيامة مطلقا . ثم قال : ( هل أتاك حديث موسى ؟ إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى . اذهب الى فرعون إنه طغى — إلى قوله — إن في ذلك لعلبة لمن يخشى ) ثم ذكر المبدأ والمعاد مفصلا . فقال : ( ألأنتم أشد خلقاً ، أم السماء ؟ بناها — إلى قوله — فإذا جاءت الطامة الكبرى — إلى قوله — فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى )<sup>(٣)</sup> الى آخر السورة .

وكذلك في سورة المزمل ذكر قوله : ( وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا . إن لدينا أنكالا وجحيماً . وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً — إلى قوله — كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول . فأخذناه أخذاً وبيلاً )<sup>(٤)</sup>

وكذلك في سورة الحاقة ذكر قصص الأمم — كشمود ، وعاد ، وفرعون — ثم قال تعالى : ( فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة )<sup>(٥)</sup> إلى تمام ما ذكر من أمر الجنة والنار .

١ — سورة النحل : ٤١ — ٤٢ .

٢ — سورة العنكبوت : ٢٧ .

٣ — سورة النازعات كاملة .

٤ — سورة المزمل : ١١ — ١٦ .

٥ — سورة الحاقة : ١٣ — ٢٧ .

وكذلك فى سورة « ن والقلم » ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حق أموالهم وما عاقبهم به . ثم قال : ( كذلك العذاب . ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون )<sup>(١)</sup> .

وكذلك فى سورة « التغابن » قال : ( ألم يأتكم نأ الذين كفروا من قبل ، فذاقوا وبال أمرهم ؟ ولهم عذاب أليم . ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات . فقالوا : أبشر يهودنا ؟ فكفروا وتولوا . واستغنى الله . والله غنى حميد ) ، ثم قال تعالى : ( زعم الذين كفروا : أن لن يبعثوا قل : بلى ، ورى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملن ، وذلك على الله يسير )<sup>(٢)</sup> .

وكذلك فى سورة « ق » ذكر حال المخالفين للرسل ، وذكر الوعد والوعيد فى الآخرة .

وكذلك فى سورة « القمر » ذكر هذا وهذا . وكذلك فى آل حم مثل « حم غافر » و « السجدة » و « الزخرف » و « الدخان » وغير ذلك ، إلى غير ذلك مما لا يحصى .

فإن التوحيد والوعد والوعيد من أول ما أنزل ، كما فى صحيح البخارى عن يوسف بن ماهك قال : « إني عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، إذ جاءها عراقى : فقال : أى الكفن خير ؟ قالت : ويحك ، وما يضرك ؟ قال : يا أم المؤمنين ، أربنى مصحفك . قالت لم ؟ قال : لعل أولف القرآن عليه . فإنه يقرأ غير مؤلف . قالت : وما يضرك أيّه قرأت قبل ؟ إنما نزل أول ما نزل منه : سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام . ثم نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً . ولو نزل : لا تزنا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وبنى

١ - سورة القلم : ٣٣ .

٢ - سورة التغابن : ٥ - ٧ .

لجارية حديثة السن ألعب — ( بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر )<sup>(١)</sup> ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده . قال : فأخرجت له المصحف ، فأملت عليه آى السورة »<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان ، فقد يذنب الرجل والطائفة ، ويسكت آخرون عن الأمر والنهى . فيكون ذلك من ذنوبهم . وينكر عليهم آخرون إنكارا منها عنه ، فيكون ذلك من ذنوبهم . فيحصل التفرق والاختلاف والشر . وهذا من أعظم الفتن والشر قديما وحديثا . اذ الإنسان ظلوم جهول . والظلم والجهل أنواع . فيكون ظلم الأول وجهله من نوع ، وظلم كل من الثانى والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر .

### اسباب الفتن في إتباع هؤلاء

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك . ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ، ومن دخل فى ذلك من ملوكها ومشايخها ، ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا أصاها . ويدخل فى ذلك أسباب الضلال والغى : الأهواء الدينية والشهوانية ، والبدع فى الدين ، والفجور فى الدنيا .

وذلك أن أسباب الغى ، التى هى البدع فى الدين والفجور فى الدنيا : مشتركة ، تعم بنى آدم ، لما فيهم من الظلم والجهل . فيذنب بعض الناس بظلم نفسه وغيره — بفعل الزنا أو التلوط أو غيره ، أو يشرب خمر . أو ظلم فى المال بخيانة أو سرقة ، أو غصب ونحو ذلك .

ومعلوم أن هذه المعاصى — وإن كانت مستقبحة مذمومة فى العقل والدين — فهى مشتاهة فى الطباع أيضا . ومن شأن النفوس : أنها لا تحب اختصاص غيرها بشىء وزيادته عليها ، لكن تريد أن يحصل لها ما حصل له . وهذا هو الغبطة التى

١ — سورة القمر : ٤٦ .

٢ — ورد الحديث فى البخارى ( كتاب فضائل القرآن ) .

هى أدنى نوعى الحسد . فهى تريد الاستعلاء على الغير ، والاستئثار دونه ، أو تحسده وتتمنى زوال النعمة عنه ، وإن لم يحصل . ففيها من إرادة العلو والفساد والاستكبار والحسد ما يتقاضاها : أن تختص عن غيرها بالشهوات . فكيف اذا رأت الغير قد أستأثر عليها بذلك ، وأختص به دونها ؟ فالمعتدل منهم فى ذلك : الذى يحب الاشتراك والتساوى . وأما الآخر : فظلولم حسود .

وهذان يقعان فى الأمور المباحة والأمور المحرمة لحق الله .

فما كان جنسه مباحا — من أكل وشرب ، ونكاح ، ولباس ، وركوب ، وأموال — إذا وقع فيها الاختصاص : حصل بسببه الظلم والبخل والحسد .

وأصلها الشح . كما فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إياكم والشح . فإنه أهلك من كان قبلكم . أمرهم بالبخل فبخلوا . وأمرهم بالظلم فظلموا . وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » <sup>(١)</sup> ، ولهذا قال الله تعالى فى وصف الأنصار ( والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ) أى من قبل المهاجرين ( يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أتوا ) أى لا يجدون الحسد مما أوتى إخوانهم من المهاجرين ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) ، ثم قال : ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) <sup>(٢)</sup>

وسمع عبد الرحمن بن عوف وهو يطوف بالبيت يقول : « رب قنى شح نفسى . رب قنى شح نفسى » فقليل له فى ذلك . فقال : « إذا وقيت شح نفسى فقد وقيت البخل والظلم والقطيعة » أو كما قال .

فهذا الشح — الذى هو شدة حرص النفس — يوجب البخل بمنع ما عليه ، والظلم بأخذ مال الغير . ويوجب قطيعة الرحم . ويوجب الحسد . وهو

---

١ — ورد الحديث فى داود ١٣٣/٢ مسلم حديث رقم (٢٥٧٨) ، ابن حنبل ١٩١/٢ . وانظر تفسير ابن كثير ٢٣٩/٤ .

٢ — سورة ال حشر : ٩ .

كراهة ما أختص به الغير وتمنى زواله ، والحسد فيه بخل ، وظلم . فإنه بخل بما أعطيه عن غيره . وظلم بطلب زوال ذلك عنه .

فإذا كان هذا في جنس الشهوات المباحة ، فكيف بالمحرمة ، كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك ؟ وإذا وقع فيها إختصاص ، فإنه يصير فيها نوعان : أحدهما : بغضها لما في ذلك من الإختصاص والظلم ، كما يقع في الأمور المباحة الجنس .

والثاني : بغضها لما في ذلك من حق الله .

ولهذا كانت الذنوب ثلاثة أقسام .

أحدها : ما فيه ظلم للناس ، كالظلم بأخذ الأموال ، ومنع الحقوق ، والحسد ونحو ذلك .

والثاني : ما فيه ظلم للنفس فقط ، كشرب الخمر والزنا ، إذا لم يتعد ضررهما .

والثالث : ما يجتمع فيه الأمران . مثل أن يأخذ المتولى أموال الناس ليزني بها ويشرب بها الخمر . ومثل أن يزني بمن يرفعه على الناس بذلك السبب ويضرهم ، كما يقع ممن يحب بعض النساء والصبيان . وقد قال تعالى ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون )<sup>(١)</sup> .

## ( فصل ) ( أمور الناس لا تستقيم إلا بالعدل )

وأمر الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ، وإن لم تشترك في إثم . ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة ، وإن كانت كافرة . ولا يقيم الظالمة ، وإن كانت مسلمة .

ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر . ولا تدوم مع الظلم والإسلام . وقد قال النبي ﷺ : « ليس ذنب أسرع عقوبة من البغى وقطيعة الرحم »<sup>(١)</sup> ، فالباغي يصرع في الدنيا ، وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة . وذلك : أن العدل نظام كل شيء . فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبه في الآخرة من خلاق . ومتى لم تقم بالعدل لم تقم . وإن كان صاحبها من الأيمان ما يجزى به في الآخرة .

فالنفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه ، والحسد له ، والتعدي عليه في حقه . وفيها داعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة — كالزنا وأكل الخبائث — فهي قد لا تظلم من لا يظلمها . وتؤثر هذه الشهوات ، وإن لم يفعلها غيرها . فإذا رأت نظراءها قد ظلموا ، أو تناولوا هذه الشهوات : صار داعي هذه الشهوات أو الظلم فيها أعظم بكثير .

وقد يصير ويهيج ذلك من بغض ذلك الغير وحسده ، وطلب عقابه ، وزوال الخير عنه ، ما لم يكن فيها قبل ذلك . ولها حجة عند نفسها من جهة العقل والدين ، يكون ذلك الغير قد ظلم نفسه والمسلمين . وأن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والجهاد على ذلك من الدين .

١ — ورد الحديث في الترمذی وقال عنه : حديث صحيح ، ابن ماجة وابن حنبل ٥ / ٣٦ .



## أقسام الناس في الأمر والنهي

والناس هنا ثلاثة أقسام : قوم لا يقومون إلا في أهواء نفوسهم . فلا يرضون إلا بما يعطونه ، ولا يغيضون إلا لما يحرمونه . فإذا أُعطي أحدهم ما يشتهي من الشهوات الحلال أو الحرام : زال غضبه . وحصل رضاه . وصار الأمر الذي كان عنده منكراً — ينهى عنه ويعاقب عليه ، ويذم صاحبه ، ويغضب عليه — صار فاعلاً له ، وشريكاً فيه ، ومعاوناً عليه ، ومعادياً لم ينهى عنه وينكر عليه .

وهذا غالب في بني آدم . ترى الإنسان يسمع من ذلك ما لا يخصه إلا الله .

وسببه : أن الإنسان ظلم جهول . فلذلك لا يعدل ، بل ربما كان ظالماً في الحالين . يرى قوماً ينكرون على المتولى ظلمه لرعيته . واعتدائه عليهم . فيرضي أولئك المنكرين ببعض الشيء ، فينقلبون أعواناً له . وأحسن أحوالهم : أن يسكتوا عن الإنكار عليه . وكذلك تراهم على من يشرب الخمر ويذني ، ويسمع الملاحى ، حتى يدخلوا أحدهم معهم في ذلك ، أو يرضوه ببعض ذلك . فتراه حينئذ قد صار عوناً لهم .

وهؤلاء قد يعودون بإنكارهم إلى أقبح من الحال التي كانوا عليها . وقد يعودون إلى ما هو دون ذلك أو نظيره .

وقوم يقومون قومة ديانة صحيحة ، يكونون في ذلك مخلصين لله ، مصلحين فيما عملوه ، ويستقيم لهم ذلك ، حتى يصبروا على ما أودوا . فهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وهم من خير أمة أخرجت للناس . يأمرون بالمعروف . وينهون عن المنكر . ويؤمنون بالله .

وقوم يجتمع فيهم هذا وهذا . وهم من غالب المؤمنين .

فمن فيه دين وله شهوة في قلبه إرادة الطاعة وإرادة المعصية . وربما غلب هذا تارة وهذا تارة .

وهذه القسمة الثلاثية كما قيل : الأنفس ثلاث : أماره ، ولوامه ، ومطمئنه .  
فالأولون : فالأولون هم أهل النفس الأماره التي تأمر بالسوء .

والوسط : هم أهل النفس المطمئنه التي يقال لها : ( يا أيها النفس المطمئنه  
ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فأدخلى في عبادى . وأدخلى جنتى )<sup>(١)</sup> .

وهؤلاء هم أهل النفس اللوامه ، التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه . وتتلون .  
تارة كذا وتارة كذا . وتخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

ولهذا لما كان الناس في زمن أنى بكر وعمر رضى الله عنهما — وهما اللذان أمر  
المسلمون بالاعتداء بهما — كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «اقتدوا باللذين من  
بعدى : أنى بكر وعمر»<sup>(٢)</sup> . لما كان الناس أقرب عهداً بالرسالة ، وأعظم إيماناً  
وصلاحاً ، وأتمتهم أقوم بالواجب ، وأثبت في الطمأنينة : لم تقع فتنة . إذ كانوا في  
حكم القسم الوسط .

ولما كان في آخر خلافة عثمان ، وفي خلافة على رضى الله عنهما كثر القسم  
الثالث . فصار فيهم شهوة وشبهة ، مع الإيمان والدين . قد صار ذلك في بعض  
الولاة وبعض الرعايا . ثم كثر ذلك بعد . فنشأت الفتنة التي سببها ما تقدم — من  
عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين ، واختلاطهما بنوع من الهوى والمعصية في  
الطرفين — وكل منهما متأول : أنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وأنه مع الحق  
والعدل . ومع هذا التأويل نوع من الهوى . ففيه نوع من الظن وما تهوى الأنفس ،  
وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى .

فلهذا يجب على المؤمن أن يستعين بالله ، ويتوكل عليه في أن يعمر قلبه  
بالإيمان والتقوى ، ولا يزيغه ، ويشبهه على الهدى والتقوى ، ولا يتبع الهوى ، كما قال

---

١ — سورة الفجر ٢٧ — ٣٠ .

٢ — ورد الحديث في : أبو داود ١٣/٥ ( كتاب السنة . باب في لزوم السنة ، النسائي ٥—٤٤ حديث رقم  
٢٦٧٦ ) ( كتاب العلم . باب ماجاء في الأخذ بالسنة ) ، ابن ماجه ١٥/١ ( المقدمة . باب اتباع سنة  
الخلفاء الراشدين ، الدرامي ٤٤/١ ) ( المقدمة . باب اتباع السنة ) ، ابن حنبل ٤/ ١٢٦ — ١٢٧ .

تعالى : ( فلذلك فادع . واستقم كما أمرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب . وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم )<sup>(١)</sup> .

وهذا أيضاً حال الأمة فيما تفرقت فيه ، واختلفت في المقالات والعبادات . وهذه الأمور مما تعظم به المحنة على المؤمنين . فإنهم محتاجون إلى شيئين :

إلى دفع الفتنة التي ابتلى بها نظراؤهم — من فتنة الدين والدنيا — عن نفوسهم ، مع قيام المقتضى لها . فإن معهم نفوسا وشياطين ، كما مع غيرهم . فمع وجود ذلك من نظائرهم يقوى المقتضى عندهم ، كما هو الواقع . فيبقى الداعى الذى فى نفس الشيطان وشيطانه . ودواعى الخير كذلك ، وما يحصل من الداعى بفعل الغير والنظير .

فكم من الناس من لم يرد خيراً ولا شراً ، حتى رأى غيره — لا سيما إن كان نظيره — يفعله ، ففعله . فإن الناس كأسراب القطا ، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض .

ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له من الأجر والوزر مثل من تبعه ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً »<sup>(٢)</sup> وذلك لاشتراكهم فى الحقيقة . وأن حكم الشيء حكم نظيره . وشبيه الشيء منجذب إليه . فإذا كان هذان داعيين قويين ، فكيف إذا انظم اليهما داعيان آخران .

---

١ — سورة الشورى : ١٥ .

٢ — ورد الحديث فى : مسلم ( كتاب العلم ) ٦١ / ٨ ، ( كتاب الزكاة ) ٨٧ / ٣ ، النسائى ٧٦ / ٥ ، ابن حنبل ٣٥٧ / ٤ — ٣٥٩ .

## أهل المنكر يحبون من يوافقهم

وذلك : أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه ، ويغضون من لا يوافقهم . وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة : من موالاة كل قوم لموافقيهم ، ومعاداتهم لمخالفهم . وكذلك في أمور الدنيا والشهوات : كثيراً ما يختار أهلها ويؤثرون من يشاركتهم في أمورهم وشهواتهم . إما للمعاونة على ذلك ، كما في المتغلبين من أهل الرياسات وقطاع الطريق ونحو ذلك . وإما لتلذذهم بالموافقة ، كما في المجتمعين على شرب الخمر — مثلاً — فإنهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم . وإما لكرهاتهم امتيازهم بالخير : إما حسداً له ذلك ، وإما لثلاً يعلو عليهم بذلك ، ويحمده الناس دونهم . وإما لثلاً يكون له عليهم حجة . وإما لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه ، أو بمن يرفع ذلك إليهم ، أو لثلاً يكونوا تحت منته وخطره ، ونحو ذلك من الأسباب . قال الله تعالى : ( وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدَّكُمْ — من بعدم إيمانكم — كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ) (١) ، وقال تعالى في المنافقين : ( وَدُّوا أَنْ يَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا . فَتَكُونُونَ سواء ) (٢) ، وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « ودت الزانية لو زنى النساء كلهن » .

والمشاركة : قد يختارونها في نفس الفجور ، كالاشتراك في الشرب ، والكذب والاعتقاد الفاسد . وقد يختارونها في النوع ، كالزاني الذي يود أن يزني غيره ، والسارق الذي يود أن يسرق غيره أيضاً ، لكن في غير العين التي زنى بها والتي سرقها .

وأما الداعى الثانى : فقد يأمرهم الشخص بمشاركتهم فيما هم عليه من المنكر فإن شاركهم وإلا عادوه ، وآذوه على وجه قد ينتهى إلى حد الإكراه ، أولاً ينتهى إلى حد الإكراه .

١ — سورة البقرة : ١٠٩ .

٢ — سورة النساء : ٨٩ .

ثم إن هؤلاء الذين يختارون مشاركة الغير لهم في قبيح فعلهم ، أو يأمرونه بذلك ويستعينون به على ما يريدونه . فإنهم متى شاركهم وعاونهم وأطاعهم : انتقصوه واستخفوا به ، وجعلوا ذلك حجة عليه في أمور أخرى . وإن لم يشاركه عادوه وآذوه . وهذه حال غالب الظالمين القادرين .

وهذا الموجود في المنكر نظيره موجود في المعروف ، وأبلغ منه ، كما قال الله تعالى : ( والذين آمنوا أشد حبا لله )<sup>(١)</sup> ، فإن داعى الخير أقوى . فإن الانسان فيه داع يدعو إلى إيمان والعلم ، والصدق والعدل ، وأداء الأمانة . فإذا وجد من يعمل ذلك مثله : صار له داع آخر ، لا سيما إذا كان نظيره . لا سيما مع المنافسة . وهذا محمود حسن .

فإن وجد من يجب موافقته على ذلك ، ومشاركته له ، من المؤمنين والصالحين ، ومن يفضيه إذا لم يفعل ذلك : صار له داع ثالث .

فإذا أمره بذلك ووالوه على ذلك ، وعادوه وعاقبوه على تركه : صار له داع رابع .

ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات ، كما يقابل الطبيب المرض بضده . فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه . وذلك بشيئين : بفعل الحسنات وترك السيئات ، مع وجود ما ينفي الحسنات ، ويقتضى السيئات . وهذه أربعة أنواع .

ويؤمر أيضا بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة ، بحسب قدرته وإمكانه . قال تعالى : ( والعصر . إن الانسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر )<sup>(٢)</sup> ، روى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم » وهو كما قال . فإن الله أخبر فيها : أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه : مؤمنا صالحا ، ومع غيره : موصيا بالحق ، موصيا بالصبر .

---

١ — سورة البقرة : ١٦٥ .

٢ — سورة العصر : ١ — ٣ .

## فصل وجوب الصبر عند المحنة

وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سبباً لعلو الدرجة ، وعظيم الأجر . كما سئل النبي ﷺ : « أى الناس أشد بلاء ؟ » قال : الأنبياء ثم الصالحون . ثم الأمثل فالأمثل . يتلى الرجل على حسب دينه . فإن كان فى دينه صلابة : زيد فى بلائه . وإن كان فى دينه رقة : خفف عنه . وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على وجه الأرض وليس عليه خطيئة <sup>(١)</sup> . وحينئذ فيحتاج من الصبر ما لا يحتاج إليه غيره . وذلك هو سبب الإمامة فى الدين ، كما قال تعالى : ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . وكانوا بآياتنا يوقنون ) فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور به ، وعلى ترك السيئ المحظور المنهى عنه .

ويدخل فى ذلك : الصبر على الأذى ، وعلى ما يقال . والصبر على ما يصيبه من المكروه ، والصبر على البطر عند النعم ، وغير ذلك من أنواع الصبر .

ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ، ويتنعم به ، ويتغذى به . وهو اليقين . كما فى الحديث الذى رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أيها الناس ، سلوا الله اليقين والعافية . فإنه لم يعط أحد — بعد اليقين — خيراً من العافية . فسلوهما الله » <sup>(٢)</sup> .

## الإحسان الى الناس يحقق المطلوب

وكذلك إذا أمر غيره بحسن ، أو أحب موافقته له على ذلك ، أو نهى غيره عن سيئ : فيحتاج أن يحسن إلى ذلك الغير إحساناً يحصل به مقصودة : من حصول المحبوب ، واندفاع المكروه . فإن النفوس لا تصبر على المر إلا بنوع من الحلو .

١ — ورد الحديث فى الدارمى ٢٢٨/٢ ، ابن حنبل ١٧٢/١ وفى الترمذى وقال عنه : حسن صحيح .

٢ — أورده ابن حنبل فى مسنده ٥/١ .

لا يمكن غير ذلك . ولهذا أمر الله تعالى بتأليف القلوب ، حتى جعل للمؤلفة قلوبهم نصيباً في الصدقات . وقال تعالى لنبيه ﷺ : ( خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة )<sup>(٢)</sup> ، فلا بد أن يصبر وأن يرحم . وهذا هو الشجاعة والكرم . ولهذا يقرن الله بين الصلاة والزكاة تارة ، وهي الإحسان إلى الخلق ، وبينها وبين الصبر تارة .

ولا بد من الثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والصبر . لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك في صلاح نفوسهم ، وإصلاح غيرهم . لا سيما كلما قويت الفتنة والحنة فإن الحاجة إلى ذلك تكون أشد .

فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بنى آدم . لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا بهما . ولهذا فإن جميعهم يتماذحون بالشجاعة والكرم ، حتى إن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء ممدوحهم في شعرهم . وكذلك يتذامون بالبخل والجبن .

والقضايا التي يتفق عليها عقلاء بنى آدم لا تكون إلا حقاً ، كاتفاقهم على مدح الصدق والعدل ، وذم الكذب والظلم . وقال النبي ﷺ — لما سأله الأعراب ، حتى اضطروه إلى سمرّة . فتعلقت برذائه — فالتفت إليهم ، وقال : « والذي نفسى بيده ، لو أن عندى عدد هذا العضاه نعماً لقسمته فيكم . ثم لا تجدونى بخيلاً ، ولا جباناً ، ولا كذوباً »<sup>(٣)</sup> ؛ لكن يتنوع ذلك بتنوع المقاصد والصفات : فإنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى .

---

١ — سورة الأعراف : ١٩٩ .

٢ — سورة البلد : ١٧ .

٣ — ورد الحديث في البخارى ١٢/ ١١٩ بشرح الكرماني حديث رقم ٢٦٢٥ ( باب الشجاعة في الحرب ) ، النسائى ٦/ ٢٦٢ ط المصرية بالازهر ( كتاب الهبة ) ، ابن حنبل ٢/ ١٨٤ ، ٤/ ٨٢ ، ٨٤ . وفيه ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً .

## ذم البخل والجبن

ولهذا جاء الكتاب والسنة بزم البخل والجبن ، ومدح الشجاعة والسماحة في سبيل الله ، دون ما ليس في سبيله . فقال النبي ﷺ : « شر ما في المرء : شح هالع ، وجبن خالع »<sup>(١)</sup> ، وقال : « من سيدكم يابنى سلمة ؟ فقالوا : الجد بن قيس ، على أنا نَزَّهُ بالبخل : فقال : وأى داء أدوأ من البخل ؟ » ، وفي رواية : « إن السيد لا يكون بخيلا . بل سيدكم : الأبيض الجعد ، البراء بن معرور » .

وكذلك في الصحيح قول جابر بن عبدالله لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم : « إما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني فقال : تقول : وإما أن تبخل عني ؟ وأى داء أدوأ من البخل ؟ »<sup>(٢)</sup> فجعل البخل من أعظم الأمراض .

وفي صحيح مسلم عن سليمان بن ربيعة قال : قال عمر رضي الله عنه : « قسم النبي ﷺ قسما . فقلت : يارسول الله ، والله لغير هؤلاء أحق به منهم . فقال : إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش وبين أن يُخَلُونِي . ولست بباخل »<sup>(٣)</sup> ، يقول : إنهم سألوني مسألة لا تصلح . فإن أعطيتهم وإلا قالوا : هو بخيل . فقد خيروني بين أمرين مكروهين ، لا يتركوني من أحدهما : المسألة الفاحشة ، والتبخیل . والتبخیل أشد . فأدفع الأشد بإعطائهم .

والبخل جنس تحته أنواع : كبائر وغير كبائر . قال تعالى : ( ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم . بل هو شر لهم . سيطرُون ما بخلوا به يوم القيامة )<sup>(٤)</sup> وقال : ( واعبدوا الله . ولا تشركوا به شيئاً . وبالوالدين

١ — ورد الحديث في : أبو داود ٣٦/٣ حديث رقم ٢٥١١ ط السيد حمص سنة ١٩٦٩ م ( كتاب الجهاد . باب في الجرأه والجبن ) . وفي ابن حنبل ٣٠٢/٢ .. والعصاة شجر له شوك .

٢ — ورد الحديث في البخارى ٦١/١٥ — ٦١ من عمدة القارى على شرح صحيح البخارى حديث رقم ٤٤ ط دار احياء التراث العربى بيروت وفي ابن حنبل ٣٠٨/٣ .

٣ — ورد الحديث في مسلم ( كتاب الزكاة ) ، ابن حنبل ٢٠/١ .

٤ — سورة آل عمران : ١٨ .



إحساناً — الى قوله — إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . الذين ييخلون ويأمرّون الناس بالبخل<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( وما منعهم أن تقبل منهم تلقّاتهم إلا أنهم كفّروا بالله وبرّسوله . ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون<sup>(٢)</sup> ) ، وقال : ( فلما اتاهم من فضله بخلوا به . وتولّوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه )<sup>(٣)</sup> ، وقال : ومن ييخل فإنما ييخل عن نفسه<sup>(٤)</sup> ، وقال : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون<sup>(٥)</sup> ) ، وقال : ( والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يُخْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم — الآية )<sup>(٦)</sup> وكثير من الآي في القرآن من الأمر بالإيتاء والإعطاء ، وذم من ترك ذلك كله ذم للبخل .

وكذلك ذمه للجبين كثير في قوله : ( ومن يولهم يومئذ دُبره إلا متحرفاً لقتال ، أو متحيزاً إلى فئة . فقد باء بغضب من الله . ومأواه جهنم وبئس المصير )<sup>(٧)</sup> ، وقوله عن المنافقين : ( ويحلفون بالله إنهم لمنكم . وما هم منكم . ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون )<sup>(٨)</sup> ، وقوله : ( فإذا أنزلت صورة محكمة وذكر فيها القتال : رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت )<sup>(٩)</sup> ، وقوله : ( ألم تر الى الذين قيل لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ؟ فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ، أو أشد خشية .

١ — سورة النساء : ٢٦ — ٢٧ .

٢ — سورة التوبة : ٥٤ .

٣ — سورة التوبة : ٧٦ — ٧٧ .

٤ — سورة محمد : ٣٨ .

٥ — سورة الماعون : ٤ — ٧ .

٦ — سورة التوبة : ٣٤ — ٣٥ .

٧ — سورة الأنفال : ١٦ .

٨ — سورة التوبة : ٥٦ — ٥٧ .

٩ — سورة محمد : ٢٠ .

وقالوا : ربنا لم كتب علينا القتال ؟ لولا أخرتنا الى أجل قريب ؟ قل : متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً <sup>(١)</sup> .

وما في القرآن من الحز على الجهاد والترغيب فيه ، وذم الناكثين عنه والتاركين له : كله ذم للجبين .

### ( مدح الشجاعة والكرم )

ولما كان صلاح بنى آدم لا يتم — فى دينهم ودنياهم — إلا بالشجاعة والكرم : بين الله سبحانه : أنه من تولى عنه — بترك الجهاد بنفسه — أبطل الله به من يقوم بذلك ، ومن تولى عنه — بإتفاق ماله — أبطل الله ، به من يقوم بذلك ، فقال : ( يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله ، اثأقلتم إلى الأرض ؟ أرضعتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً . ويستبدل قوماً غيركم . ولا تضروه شيئاً . والله على كل شئ قدير ) <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله . فممنكم من يعخل . ومن يعخل فإمّا يعخل عن نفسه . والله الغنى ، وأنتم الفقراء . وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم . ثم لا يكونوا أمثالكم ) <sup>(٣)</sup> .

وبالشجاعة والكرم فى سبيل الله فضل الله السابقين . فقال ( لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا . وكلا وعد الله الحسنى ) <sup>(٤)</sup> ، وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال فى سبيله ، ومدحه فى غير آية من كتابه . وذلك هو الشجاعة والسماحة فى طاعته سبحانه . فقال : ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ؟ والله مع الصابرين ) <sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى :

١ — سورة النساء : ٧٧ .

٢ — سورة التوبة : ٣٨ — ٣٩ .

٣ — سورة محمد : ٣٨ .

٤ — سورة الحديد : ١٠ .

٥ — سورة البقرة : ٢٤٩ .

( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا . واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين )<sup>(١)</sup> .

والشجاعة ليست قوة البدن . فقد يكون الرجل قوى البدن ضعيف القلب . وإنما هي قوة القلب وثباته . فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعتة للقتال ، وعلى قوة القلب وخبرته به . والحمد لله ما كان بعلم ومعرفة ، دون التهور الذى لا يفكر صاحبه ، ولا يميز بين المحمود والمذموم .

ولهذا كان القوى الشديد : هو الذى يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح . دون مالا يصلح فأما المغلوب حين غضبه : فليس هو بشجاع ولا شديد وقد تقدم : أن جماع ذلك هو الصبر . فإنه لا بد منه .

والصبر صبران : صبر عند الغضب ، وصبر عند المصيبة . كما قال الحسن رحمه الله : « ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب ، وجرعة صبر عند المصيبة » . وذلك لأن أصل ذلك : هو الصبر على المؤلم . وهذا هو الشجاع الشديد الذى يصبر على المؤلم .

والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه : أثار الغضب . وإن كان مما لا يمكن دفعه : أثار الحزن . ولهذا يحمر الوجه عند الغضب ، لثوران الدم عند استئثار القدرة . ويصفى عند الحزن ، لغور الدم عند استئثار العجز .

ولهذا جمع النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قالوا : الرقوب الذى لا يولد له . قال : ليس ذاك بالرقوب ، ولكن الرقوب : الذى لم يقدم من ولده شيئاً . ثم قال : ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا : الذى لا يصصره الرجال . فقال : ليس بذلك . ولكن الصرعة : هو الذى يملك نفسه عند الغضب »<sup>(٢)</sup> .

---

١ - سورة الأنفال : ٤٥ - ٤٦ .

٢ - ورد الحديث فى مسلم ( كتاب البر ) ، وأبو داود ، النسائى وفى ابن حنبل ١ / ٢٨٢ .

فذكر ما يتضمن الصبر عند المصيبة ، والصبر عند الغضب .

قال الله تعالى في المصيبة : ( وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون — آية )<sup>(١)</sup>

وقال تعالى في الغضب : ( وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم )<sup>(٢)</sup> .

وهذا الجمع بين صبر المصيبة ، وصبر الغضب : نظير الجمع بين صبر المصيبة ، وصبر النعمة ، كما في قوله تعالى : ( ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عني . إنه لفرح فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير )<sup>(٣)</sup> . وقال : ( لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم )<sup>(٤)</sup> .

وهذا وصف كعب بن زهير من وصفه من الصحابة المهاجرين رضى الله عنهم . حيث قال :

لا يفرحون إذا نالت سيوفهم قوماً ولسوا مجازيعا إذا نيلوا  
وكذلك قال حسان بن ثابت في صفة الأنصار رضى الله عنهم :

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع<sup>(٥)</sup>  
وقال بعض العرب ، في صفة النبي ﷺ : « يَغْلِبُ فلا يبطر ويَغْلِبُ فلا يضجر » .

---

١ — سورة البقرة : ١٥٥ — ١٥٦ .

٢ — سورة فصلت : ٣٥ .

٣ — سورة هود : ٩ — ١١ .

٤ — سورة الحديد : ٢٣ .

٥ — أنظر ديوان حسان بن ثابت في قصيدته العينية التي مدح بها الأنصار ط الهيئة المصرية العامة ٢٣٩ . تحقيق حنفي حسنين .

## النهي عن البطر والضجر

ولما كان الشيطان يدعو الناس — عند هذين النوعين — إلى تعدى الحدود بقلوبهم ، وأصواتهم ، وأيديهم : نهى النبي ﷺ عن ذلك : فقال لما قيل له : وقد بكى لما رأى إبراهيم في النزع : « أتبكي ، وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن صوتين أحق من فاجرين : صوت عند نعمة : هو ولعب ، ومزامير شيطان : وصوت عند مصيبة : لطم خدود ، وشق جيوب ، ودعاء بدعوى الجاهلية »<sup>(١)</sup> فجمع بين الصوتين .

وأما نهيه عن ذلك في المصائب : فمثل قوله ﷺ : ليس منا لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »<sup>(٢)</sup> وقال : « أنا برىء من الخالقة ، والصالقة ، والشاقة »<sup>(٣)</sup> ، وقال : « ما كان من العين والقلب : فمن الله . وما كان من اليد واللسان : فمن الشيطان » ، وقال : « إن الله لا يؤاخذ على دمع العين ، ولا حزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم — وأشار إلى لسانه »<sup>(٤)</sup> ، وقال : « من يُنَحْ عليه ، فإنه يعذب بما ينح عليه »<sup>(٥)</sup> واشترط على النساء في البيعة « أن لا

- 
- ١ — ورد الحديث في الترمذی ( کتاب الجنائز ) . وفيه ( ... ولكن نهيت عن صوتين أحق من فاجرين ، صورت عند مصيبة حمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ) . وقال الترمذی : هذا حديث حسن .
  - ٢ — ورد الحديث في البخاری ٧/ ٨٨ بشرح الكرمانی ( باب ليس منا من لطم الخدود ... ) ويلفظ مختلف في ٧/ ٩١ ، ابن ماجه ( کتاب الجنائز . باب ماجاء في النهي عن قرب الخدود ص ٥٠٥ حديث رقم ١٥٨٥ ، النسائي ٤/ ١٩ ، ٢١ ( باب دعوى الجاهلية ، مسلم ١/ ٧٠ ( كتاب لايمان وباب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، ابن حنبل ١/ ٤٣٢ ، ٤٥٦ .
  - ٣ — ورد الحديث في البخاری ( کتاب الجنائز ما ينهى من الخلق عند المصيبة ) ٧/ ٩٣ ، مسلم ١/ ٧٠ ( كتاب الايمان ) ، النسائي ٤/ ٢٠ ( باب السلق ) .
  - ٤ — ور الحديث في البخاری ٧/ ٩٨ بشرح الكرمانی . ( كتاب الجنائز ، مسلم بشرح النووي ٦/ ٢٢٥ — ٢٢٦ .
  - ٥ — ورد الحديث في البخاری بشرح الكرمانی ٧/ ٨٧ ( كتاب الجنائز باب ما تاسيو في النياحة على الميت ) ، مسلم بشرح النووي ٦/ ٢٣٤ — ٢٣٥ ( باب تحريم النياحة ) ، الترمذی حديث رقم ١٠٠٠ طبعة فؤاد عبد الباقي . ابن حنبل ٢/ ٢٤٥ .

ينحن» وقال : « إن النائحة — إذا لم تتب قبل موتها — فإنها تُلبس يوم القيامة درعاً من جَرَب ، وسربالا من قطران»<sup>(١)</sup> وقال في القِتلَة ، والمصائب ، والفرح : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة . و ليُجِدَّ أحَدكم شفرته ، وليرح ذبيحته»<sup>(٢)</sup> ، وقال : « إن أعف الناس قتلة : أهل الإيمان»<sup>(٣)</sup> ، وقال : « لا تُمُثِّلُوا ، ولا تَغْدِرُوا ، ولا تقتلوا وليداً»<sup>(٤)</sup> .

إلى غير ذلك مما أمر ﷺ به في الجهاد : من العدل ، وترك العدوان ، اتباعاً لقوله تعالى : ( ولا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى )<sup>(٥)</sup> ، ولقوله تعالى : ( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين )<sup>(٦)</sup> .

ونهى عن لباس الحرير ، والتختم بالذهب ، والشرب في آنية الذهب والفضة ، وإطالة الثياب . إلى غير ذلك من أنواع السرف والخيلاء في النعم .

وذم الذين يستلون الخبز ، والحر ، والحرير ، والخمر والمعازف ، وجعل فيهم الخسف والمسح ، إن هم ارتكبوا ذلك .

١ — ورد الحديث في مسلم بشرح النووي ( كتاب الجنائز . باب النهي عن النياحة ) .  
٢ — ورد الحديث في أبو داود ٢٤٤/٣ ( كتاب الأضاحي . باب النهي ان تصبر البهائم ) ، الترمذی ٢٢/٤ حديث رقم ١٤٠٩ ( باب في النهي عن المثلة ) ، النسائي ٢٢٧٠/٧ ( باب الأمر باحداد الشفرة ) ، ابن ماجه ١٠٥٨/٢ حديث رقم ٣١٧٠ ، الدارمی ٨٢/٢ ( باب في حسن الذبيحة ) ، ابن حنبل ١٢٣/٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

٣ — ورد الحديث في : أبو داود ١٢٠/٣ ( كتاب الجهاد . باب النهي عن المسئلة ) ابن ماجه ٨٩٤/٢ ( كتاب الديات ، باب اعف الناس قتلة اهل الايمان ، ابن حنبل ٣٩٣/١ .

٤ — ورد الحديث في : الترمذی ١٦٢/٤ حديث رقم ١٦١٧ ( كتاب السير ، باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال ) ، ابن ماجه ٩٥٣/٢ ( كتاب الجهاد . باب وصية الامام في السرايا ) حديث رقم ٢٨٥٧ ، ٨٥٨ ، الدارمی ٢١٥/٢ ( كتاب السير . باب وصية الامام في السرايا ) ، الموطأ ص ٢٩٧ ( كتاب الجهاد . باب النهي عن قتل النساء ) ، ابن حنبل ١٠٠٠/١ ، ٢٤٠/٤ ، ٣٥٨/٥ .

٥ — سورة المائدة : ٨ .

٦ — سورة البقرة : ١٩٠ .

وقد قال تعالى : ( إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً <sup>(١)</sup> ) ، وقال عن قارون : ( إذ قال له قومه : لا تفرح . إن الله لا يحب الفرحين ) <sup>(٢)</sup> ؟

وهذه الأمور الثلاثة — مع الصبر عن الاعتداء في الشهوة — هي جوامع هذا الباب . وذلك : أن الإنسان بين ما يحبه ويشتيه ، وبين ما يبغضه ويكرهه . فهو يطلب الأول بمحبته وشهوته ويدفع الثاني ببغضه ونفرته وإذا حصل الأول أو اندفع الثاني أوجب له فرحاً وسروراً . وإن حصل الثاني ، أو أندفع الأول : حصل له حزن . فهو محتاج عند المحبة والشهوة أن يصبر عن عدوانهما ، وعند الغضب والنفرة : أن يصبر عن عدوانهما ، وعند الفرح : أن يصبر عن عدوانه ، وعند المصيبة : أن يصبر عن الجزع منها .

فالنبي ﷺ ذكر الصوتين الأحمقين الفاجرين : الصوت الذى يوجب الاعتداء في الفرح ، حتى يصير الإنسان فرحاً فخوراً . والصوت الذى يوجب الجزع عند الحزن ، حتى يصير الإنسان هلولاً جزوعاً .

وأما الصوت الذى يثير الغضب لله : فكالأصوات التى تقال في الجهاد من الأشعار المنشدة . فتلك لم تكن بآلات . وكذلك أصوات الشهرة في الفرح . فرخص منها فيما وردت به السنة : من الضرب بالدف في العرس والأفراح للنساء والصبيان . وعامة الأشعار التى تنشد بالأصوات لتحريك النفوس : هي من هذه الأقسام الأربعة . وهي التشبيب . وأشعار الغضب . والحمية . وهي الحماسة ، والهجاء وأشعار المصائب ، كالمراثي . وأشعار النعم ، والفرح ، وهي المدائح

---

١ — سورة النساء : ٣٦ .

٢ — القصص ٧٦ .

والشعراء جرت عادتهم أن يمشوا مع الطبع . كما قال تعالى ( ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون )<sup>(١)</sup> ولهذا أخبر : أنهم يتبعهم الغاوون . والغاوى : هو الذى يتبع هواه بغير علم . وهذا هو الغنى . وهو خلاف الراشد . كما أن الضال : هو الذى لا يعلم مصلحته : هو خلاف المهتدى . قال سبحانه : ( والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى )<sup>(٢)</sup> .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى »<sup>(٣)</sup> .

فلهذا تجدهم يمدحون جنس الشجاعة ، وجنس السماحة . إذا كان عدم هذين مذموما على الإطلاق . وأما وجودهما : ففيه تحصيل مقاصد النفوس على الإطلاق .

لكن العاقبة في ذلك للمتقين فلهم عاجله لا عاقبه والعاقبة — وإن كانت في الآخرة — فتكون في الدنيا أيضا . كما قال تعالى لما ذكر قصة نوح ، ونجاته بالسفينة ( قيل : يانوح أهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك . وامم سنمتعهم . ثم يمسه من عذاب أليم — الى قوله — فاصبر إن العاقبة للمتقين )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين )<sup>(٥)</sup> .

١ — سورة الشعراء : ٢٢٥ — ٢٢٦ .

٢ — سورة النجم : ١ ، ٢ .

٣ — ورد الحديث في : أبو داود ١٣/٥ ( كتاب السنة . باب في لزوم السنة ) ، النسائي ١٤/٥ حديث رقم ٢٦٧٦ ( كتاب العلم — باب ما جاء في الأخذ بالسنة ) ، ابن ماجه ١٥/١ ( المقدمة ) ، الدرامي ٤٤/١ ( المقدمة . باب في اتباع السنة ) ، ابن حنبل ٤/١٢٦ — ١٢٧ .

٤ — سورة هود : ٤٨ — ٤٩ .

٥ — سورة البقرة : ١٩٤ .



## (الحمود من الحمية والشجاعة ما كان لله )

والفرقان : أن يحمد من ذلك ما حمده الله ورسوله . فإن الله تعالى هو الذى حمده زين ، وذمه شين ، دون غيبو من الشعراء والخطباء وغيرهم . ولهذا — لما قال القائل من بنى تميم للنبي ﷺ : «إن حمدي زين وذمي شين» قال له — : ذاك الله « (١) » .

والله سبحانه حمد الشجاعة والسماحة في سبيله . كما في الصحيح عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : «قيل لرسول الله ﷺ : الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء . فأى ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . فهو في سبيل الله» (٢) ، وقد قال سبحانه : : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) (٣) .

وذلك : أن هذا هو المقصود الذى خلق الله الخلق كله له كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٤) .

فكل ما كان لأجل الغاية التى خلق لها الخلق : كان محمودا عند الله . وهو الذى يبقى لصاحبه وينفعه الله به . وهذه هي الأعمال الصالحات . ولهذا كان الناس أربعة أصناف :

من يعمل لله بشجاعة وسماحة . فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة . فهذا ينتفع بذلك في الدنيا وليس له في الآخرة من خلاق .

---

١ — ورد الحديث في الترمذى ( كتاب التفسير ) ، ابن حنبل ٤٨٨/٣ وقال الترمذى : حسن غريب .

٢ — ورد الحديث في : البخارى (كتاب العلم) ، مسلم ٤٨ / ٢ ( كتاب الجهاد ) ، ابو داود ٣١ / ٣ حديث رقم ٢٥١٧ (كتاب الجهاد) . النسائى ٦ / ٢٣ ( كتاب الجهاد ) ، ابن ماجه ٢ / ٩٣١ حديث رقم ٢٧٨٣ (كتاب الجهاد) ، ابن حنبل ٤ / ٣٩٧ ، ٤٠٢

٣ — سورة الانفال : ٣٩

٤ — سورة الذاريات ٥٦

ومن يعمل لله ، لكن لا بشجاعة ولا بسماحة : بهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك .

ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة . فهذا ليس له دنيا ولا آخرة .  
فهذه الأخلاق والأعمال يحتاج إليها المؤمن عموما ، وخصوصا في أوقات المحن والفتن الشديدة . فإنهم يحتاجون إلى صلاح نفوسهم ، ودفع الذنوب والمصائب عن نفوسهم عند المقتضى للفتنة عندهم.

ويحتاجون أيضا إلى أمر غيرهم ونهيه ، بحسب قدرتهم . وكل من هذين الأمرين فيه من الصعوبة ما فيه ، وإن كان يسيرا على من ينسره الله عليه .

وهذا لأن الله أمر المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح . وأمرهم بدعوة الناس وجهادهم على الإيمان والعمل الصالح . ولكنهم كما قال الله تعالى : ( ولينصروا الله من ينصروا . إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور )<sup>(١)</sup> ، وكما قال : ( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد )<sup>(٢)</sup> ، وكما قال : ( كتب الله لأغلبن أنا ورسلي . إن الله قوى عزيز )<sup>(٣)</sup> ، وكما قال ( وإن جندنا لهم الغالبون )<sup>(٤)</sup> .

ولما كان في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله : من الابتلاء ، والمحن لما يتعرض به المرء للفتنة : صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة . كما قال الله تعالى عن المنافقين : ( ومنهم من يقول : ائذن لي ولا تفتني . ألا في الفتنة سقطوا — الآية )<sup>(٥)</sup> .

---

١ — سورة الحج : ٤٠ - ٤١ .

٢ — سورة غافر : ٥١ .

٣ — سورة المجادلة : ٢١ .

٤ — سورة الصادقات : ٤٩ .

٥ — سورة التوبة : ٤٩ .

وقد ذكروا في التفسير : أنها نزلت في الجذ بن قيس لما أمره النبي ﷺ بالتجهيز لغزو الروم . وأظن رسول الله ﷺ قال له : «هل لك في نساء بني الأصفر؟ فقال : يارسول الله إني رجل لا أصبر على النساء وإني أخاف الفتنة بنساء بني الأصفر . فائذن لي . ولا تفتني » (١) .

وهذا الجذ : هو الذي تخلف عن بيعة الرضوان تحت الشجرة . واستتر بجمل أحمر . وجاء فيه الحديث : « إن كلهم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر » (٢) فأنزل الله تعالى فيه : «ومنهم من يقول : ائذن لي ولا تفتني . ألا في الفتنة سقطوا ) .

يقول : إنه طلب القعود ليسلم من فتنة النساء ، فلا يفتن بهن . فيحتاج إلى الاحتراز من المحذور ، ومجاهدة نفسه عنه . فيتعذب بذلك ، أو يواقعه فيأثم . فإن من رأى الصور الجميلة وأحبها . فإن لم يتمكن منها — إما لتحريم الشارع ، وإما للعجز عنها — يعذب قلبه . وإن قدر عليها وفعل المحذور : هلك . وفي الحلال من ذلك من معالجة النساء ما فيه بلاء .

فهذا وجه قوله « ولا تفتني » قال الله تعالى : ( ألا في الفتنة سقطوا ) يقول : إن نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ، ونكوله عنه ، وضعف إيمانه ، ومرض قلبه الذي زين له ترك الجهاد : فتنة عظيمة قد سقط فيها .

فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه ، بوقوعه في فتنة عظيمة قد إصابته ؟ والله تعالى يقول : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) (٣)

١ — النظر في سبب نزل الآية : تفسير الطبري (تفسير سورة التوبة) ، ابن كثير ، صفوت التفاسير للصابوني .

٢ — ورد الحديث في : مسلم ٢ / ٢٧٥ ( كتاب المناقب ) ، الترمذی ٥ / ٦٩٦ ( كتاب المناقب حديث رقم ٣٨٦٣ . باب في فضل من بايع تحت الشجرة . .

٣ — سورة البقرة : ١٩٣ .

## ( أقسام الناس فى الأمر والنهى )

فمن ترك القتال الذى أمر الله به لثلا تكون فتنة : فهو فى الفتنة ساقط ، بما وقع فيه من ريب قلبه ، ومرض فؤاده ، وترك ما أمره الله به من الجهاد .

فتدبر هذا .. فإن هذا مقام خطر . فان الناس هنا ثلاثة أقسام :

قسم يأمرون وينهون ويقاتلون ، طلبا لإزالة الفتنة — زعموا — ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة . كالمقاتلين فى الفتن الواقعة بين الأمة ، مثل الخوارج . واقوام .

واقوام ينكلون عن الأمر والنهى والقتال الذى يكون به الدين كله الله .

وتكون كلمة الله هى العليا ، لثلا يفتنوا ، وهم قد سقطوا فى الفتنة .

وهذه الفتنة المذكورة فى سورة « براءة » دخل فيها الافتتان بالصور الجميلة .

فإنها سبب نزول الآية . هذه حال كثير من المتدينة ، يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهى وجهاد ، يكون به الدين كله الله . وتكون به كلمة الله هى العليا لثلا يفتنوا بجنس الشهوات . وهم قد وقعوا فى الفتنة التى هى أعظم مما زعموا انهم فروا منها .

وانما الواجب عليهم : القيام بالواجب من الأمر والنهى ، وترك المحظور . والقيام

بالواجب وترك المحظور متلازم ، لكون نفوسهم لا تطاوعهم إلا على فعلهما جميعا ، أو تركهما جميعا ، مثل كثير ممن يحب الرئاسة ، أو المال ، أو شهوات الغى . فإذا فعل ما وجب عليه : من أمر ، ونهى ، وجهاد ، وإمارة ، ونحو ذلك . فلا بد أن يفعل معها شيئا من المحظورات .

فالواجب عليه حينئذ : أن ينظر أغلب الأمرين . فإن كان المأمور أعظم أجرا

من ترك ذلك المحظور : لم يترك ذلك ، لما يخاف من أن يقترب به ما هو دونه فى المفسدة . وإن كان ترك المحظور أعظم أجرا : لم يفوت ذلك برجاء ثواب فعل واجب يكون دون ذلك . فذلك يكون بما يجتمع له من الأمرين : من الحسنات والسيئات . فهذا هذا . وتفصيل ذلك يطول .

## ( الأمر والنهى من لوازم بنى آدم )

وكل بشر على وجه الأرض : فلا بد له من أمر ونهى . ولا بد أن يؤمر وينهى . حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها : إما بمعروف ، وإما بمنكر . كما قال تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء) <sup>(١)</sup> .

فإن الأمر : هو طلب الفعل وإرادته . والنهى : طلب الترك وإرادته . ولا بد لكل حى من أرادة وطلب فى نفسه . ويقتضى بها فعل نفسه ، ويقتضى بها فعل غيره إذا أمكن ذلك . فإن الانسان حى يتحرك بإرادته . وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض .

وإذا اجتمع اثنان فصاعداً ، فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر ، وتناه عن أمر . ولهذا كان أقل الجماعة فى الصلاة : اثنان . كما قيل « الاثنان فما فوقهما جماعة » ، لكن لما كان ذلك اشتراكا فى مجرد الصلاة حصل باثنيين . احدهما : إمام والآخر مأموم . كما قال النبى ﷺ لمالك بن الحويرث وصاحبه رضى الله عنهما : « إذا حضرت الصلاة فأذنا وأقيما . وليؤمكما أكبركما » <sup>(٢)</sup> وكانا متقاربين فى القراءة .

وأما فى الأمور العادية ، فى السنن : ان رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لثلاثة يكونون فى سفر إلا أمروا عليهم أحدهم » <sup>(٣)</sup> .

---

١ — سورة يوسف : ٤٣ .

٢ — ورد الحديث فى : البخارى ١٧٠/٢ ، النسائى ٢١/٢ ( كتاب الاذان . باب اقامة كل واحد لنفسه ) ، ابن ماجه ٣١٣/١ . حديث رقم ٩٨٩ ، أبو داود ٣٤٠٥/٣ ( كتاب الأطعمة . باب اذا حضرت الصلاة ) حديث رقم ٣٧٥٧ . الداريمى ٢٩٣/١ . ابن حنبل ٤٩/٤ . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

٣ — ورد الحديث فى ابن حنبل ١٧٦/٢ — ١٧٧ ، وبلفظ مختلف . وجاء فى ابى داود بلفظ اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم .

وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بنى آدم . فمن لم يأمر بالمعروف ، الذى أمر الله به ورسوله . وينهى عن المنكر ، الذى نهى الله عنه ورسوله . ويؤمر بالمعروف الذى أمر الله به ورسوله . وينهى عن المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله . وإلا فلا بد أن يأمر وينهى ، ويؤمر وينهى : أما بما يضاد ذلك . وإما بما يشترك فيه الحق الذى أنزله الله بالباطل الذى لم ينزله الله . وإذا اتخذ ذلك ديناً : كان ديناً مبتعداً ضالاً باطلاً . وهذا كما أن كل بشر فإنه حى متحرك بإرادته ، همام حارث . فمن لم تكن نيته وعمله عملاً صالحاً لوجه الله . وإلا كان عمله عملاً فاسداً ، أو غير وجه الله . وهو الباطل كما قال تعالى : ( إن سعيكم لشتى )<sup>(١)</sup> .

وهذه الأعمال كلها باطلة من جنس أعمال الكفار : ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ، أضل أعمالهم )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ووجد الله عنده فوفاه حسابه . والله سريع الحساب )<sup>(٣)</sup> ، وقال . ( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً )<sup>(٤)</sup> .

وقد أمر الله تعالى فى كتابه بطاعته وطاعة رسوله ، وطاعة أولى الأمر من المؤمنين . كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلاً )<sup>(٥)</sup> .

و « أولو الأمر » أصحاب الأمر وذووه . وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم . وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدره ، وأهل العلم والكلام .

١ — سورة الليل : ٤ .

٢ — سورة محمد : ١ .

٣ — سورة النور : ٣٩ .

٤ — سورة الفرقان : ٢٣ .

٥ — سورة النساء : ٥٩ .

فلهذا كان « أولو الأمر » صنفين : العلماء ، والأمرء فإذا صلحوا : صلح الناس . وإذا فسدوا : فسد الناس . كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه للأحمسية لما سألته : « ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟ قال : ما استقامت لكم أئمتكم » . ويدخل فيهم : الملوك والمشايخ ، وأهل الديوان . وكل من كان متبوعا : فهو من أولى الأمر .

وعلى كل واحد من هؤلاء : أن يأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه . وعلى كل واحد ممن عليه طاعته : أن يطيعه في طاعة الله ولا يطيعه في معصية الله . كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه — حين تولى أمر المسلمين وخطبهم — فقال في خطبته : « أيها الناس ، القوى فيكم : الضعيف عندي . حتى آخذ منه الحق . والضعيف فيكم : القوى عندي ، حتى آخذ له الحق . أطيعوني ما اطعت الله ورسوله . فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »<sup>(١)</sup> .



---

١ — أورد ابن كثير خطبة إلى بكر في البداية والنهاية ٥ / ٢٤٨ .

## فصل

### في إخلاص العمل لله

واذا كانت جميع الحسنات ، لا بد فيها من شيئين : أن يراد بها وجه الله ، وأن تكون موافقة للشريعة . فهذا في الأقوال والأفعال . في الكلم الطيب ، والعمل الصالح . في الأمور العلمية ، والأمور العملية العبادية . ولهذا ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : « إن أول ثلاثة تسجر بهم جهنم : رجل تعلم العلم وعلمه . وقرأ القرآن وقرأه ، ليقول الناس : هو عالم وقارئ ورجل قاتل وجاهد ، ليقول الناس : هو شجاع وجريء . ورجل تصدق وأعطى ، ليقول الناس : هو جواد وسخي »<sup>(١)</sup> فإن هؤلاء الثلاثة ، الذين يريدون الرياء والسمعة : هم بإزاء الثلاثة الذين بعد النبيين : من الصديقين ، والشهداء والصالحين .

فإن من تعلم العلم — الذي بعث الله به رسله — وعلمه لوجه الله : كان صديقا .

ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وقتل : كان شهيدا .

ومن تصدق يتغنى بذلك وجه الله : كان صالحا .

ولهذا يسأل المفرط في ماله الرجعة وقت الموت . كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « من أعطى مالا فلم يحج منه ، ولم يُزَكَّ : سأل الرجعة وقت الموت . وقرأ قوله تعالى : ( وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت . فيقول : رب ، لولا اخترتني إلى أجل قريب ، فأصدّق وأكن من الصالحين ) »<sup>(٢)</sup> .

١ — ورد الحديث في سنن النسائي ٢٣/٦ ( كتاب الجهاد . باب من قاتل ليقال فلان جرى ) . بلفظ مختلف جاء فيه ( .. أول الناس يقضى له يوم القيامة ثلاثة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فصرفها . قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت . ولكنك قاتلت ليقال فلان جرى .. الخ الحديث ، وفي ابن حنبل ٣٢٢/٢ ، الترمذي ، النسائي بالفاظ متقاربة .

٢ — سورة المنافقون : ١٠ .



فهذه الأمور العلمية الكلامية : يحتاج أن يكون ما يخبر به — عن الله ، واليوم الآخر . وما كان ويكون — حقا صوابا ، وما يأمر به ، وما ينهى عنه ، كما جاءت به الرسل عن الله .

فهذا هو الصواب الموافق للسنة والشريعة ، المتبع لكتاب الله وسنة رسوله . كما أن العبادات التي نتعبد بها : إذا كانت مما شرعه الله ، وأمر الله به ورسوله : كانت حقا صواباً ، موافقا لما بعث الله به رسله . وما لم يكن كذلك من القسمين : كان من الباطل والبدع المضلة والجهل ، وإن كان يسميه من يسميه : علوما ومعقولات ، وعبادات ، ومجاهدات ، وأذواقا ، ومقامات .

ويحتاج أيضا : إن يؤمر بذلك لأمر الله ، وينهى عنه لنهى الله . ويخبر مما أخبر الله به . لأنه حق وإيمان وهدى ، كما أخبرت به الرسل . كما تحتاج العبادة إلى أن يقصد بها وجه الله .

فإذا قيل ذلك لاتباع الهوى والحمية ، أو لإظهار العلم والفضيلة ، أو لطلب السمعة والرياء كان بمنزلة المقاتل شجاعة وحمية ورياء .

ومن هنا يتبين لك ما وقع فيه كثير من أهل العلم والمقال ، وأهل العبادة والحال . فكثيرا ما يقول هؤلاء من الأقوال ما هو خلاف الكتاب والسنة . أو ما يتضمن خلاف السنة ووافقها . وكثيرا ما يتبع هؤلاء بعبادات لم يأمر الله بها . بل قد نهى عنها . أو ما يتضمن مشروعا ومحظورا . وكثيرا ما يقاتل هؤلاء قتالا مخالفا للقتال المأمور به . أو متضمنا للمأمور به ومحظور .

ثم كل من الأقسام الثلاثة — المأمور والمحظور ، والمشتمل على الأمرين — قد يكون لصاحبه نية حسنة . وقد يكون متبعاً لهواه . وقد يجتمع له هذا وهذا .

فهذه تسعة أقسام في هذه الأمور . وفي الأموال المنفقة عليها من الأموال السلطانية : الفىء وغيره . والأموال الموقوفة ، والأموال الموصى بها ، والمنذورة . وأنواع العطايا ، والصدقات ، والصلات .

وهذا كله من لبس الحق بالباطل . وخلط عمل صالح وآخر سئ .

والسئىء : من ذلك قد يكون صاحبه مخطئاً ، أو ناسياً : مغفور له ، كالجهتهد المخطئ الذى له أجر ، وخطؤه مغفور له . وقد يكون صغيراً مُكفراً باجتنباب الكبائر . وقد يكون مغفوراً بتوبة ، أو بحسنات تمحو السيئات . أو مكفراً بمصائب الدنيا . ونحو ذلك .

ألا ان دين الله الذى انزل به كتبه ، وبعث به رسله ، ما تقدم : من ارادة الله وحده بالعمل الصالح . وهذا هو الاسلام العام الذى لا يقبل الله من احد غيره . قال تعالى : ( ومن يتبع غير اءلاسلام ديناً فلن يقبل منه . وهو فى الآخرة من الخاسرين ) <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط . لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله اءلاسلام ) <sup>(٢)</sup>

### معنى الاسلام

و « الاسلام » يجمع معنيين . أحدهما : الاستسلام والانقياد ، فلا يكون متكبراً .

والثانى : الاخلاص من قوله تعالى : ( ورجلا سلما لرجل ) <sup>(٣)</sup> فلا يكون مشتركاً ، وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين . كما قال تعالى : ( ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه . ولقد اصطفيناها فى الدنيا . وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابنى إن الله اصطفى لكم الدين . فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) <sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ( قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين . قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له . وبذلك أمرت . وأنا أول المسلمين ) <sup>(٥)</sup> .

١ — سورة آل عمران : ٨٥ .

٢ — سورة آل عمران : ١٨ — ١٩ .

٣ — سورة ال، مر : ٢٩ .

٤ — سورة البقرة : ١٣٠ — ١٣٢ .

٥ — سورة الأنعام : ١٦١ — ١٦٢ .

و ( الاسلام ) يستعمل لازما معدى بحرف اللام ، مثلما ذكر في هذه الآيات . ومثل قوله تعالى : ( وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ، ثم لا تنصرون )<sup>(١)</sup> ومثل قوله تعالى : ( قالت : رب إنى ظلمت نفسى . وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين )<sup>(٢)</sup> ، ومثل قوله تعالى : ( أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها . وإليه يرجعون )<sup>(٣)</sup> ، ومثل قوله تعالى : ( قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ، ونرد على أعقابنا ، بعد إذ هدانا الله ؟ كاذبى استهوت الشياطين فى الأرض حيران . له أصحاب يدعونه إلى الهدى : اثنا . قل إن هدى الله هو الهدى . وأمرنا لنسلم لرب العالمين . وأن أقيموا الصلاة واتقوه )<sup>(٤)</sup> .

ويستعمل متعديا مقرونا بالاحسان . كقوله تعالى : ( وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، أو نصارى . تلك أمانهم . قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن . فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون )<sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى : ( ومن أحسن دينامن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفا ، واتخذ الله إبراهيم خليلا )<sup>(٦)</sup> فقد أنكر الله أن يكون دين أحسن من هذا الدين . وهو إسلام الوجه لله مع الاحسان . وأخبر : أن كل من أسلم وجهه لله وهو محسن : فله أجره عند ربه . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أثبتت هذه الكلمة الجامعة ، والقضية العامة ، ردا لمزاعم من يزعم : أنه لا يدخل الجنة إلا متهودا أو منتصر . وهذان الوصفان — وهما إسلام الوجه لله ، والاحسان — هما الأصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصا لله صوابا ، موافقا للسنة والشرعة .

١ — سورة الزمر : ٥٤ .

٢ — سورة البقره : ٤٤ .

٣ — سورة آل عمران : ٨٢ .

٤ — سورة الأنعام : ٧١ .

٥ — سورة البقره : ١١١ - ١١٢ .

٦ — سورة النساء : ١٢٥ .

## إخلاص الوجه لله يتضمن القصد والنية

وذلك . . أن إسلام الوجه لله هو متضمن القصد والنية لله . كما قال بعضهم : أستغفر الله ذنبا ، لست محصية رب العباد إليه الوجه والعمل<sup>(١)</sup> .  
وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ : إسلام الوجه ، وإقامة الوجه ، كقوله تعالى : ( وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد )<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ( فأقم وجهك للدين حنيفا . فطرة الله التي فطر الناس عليها )<sup>(٣)</sup> .

وتوجيه الوجه : كقول الخليل عليه السلام : ( إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين )<sup>(٤)</sup> .

وكذلك كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته من الليل : ( وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . . . الخ )<sup>(٥)</sup> .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما . أن النبي ﷺ علمه أن يقول إذا أوى إلى فراشه : ( اللهم أسلمت نفسي إليك . ووجهت وجهي إليك — الحديث )<sup>(٦)</sup> .

فالوجه : يتناول المتوجه والمتوجه إليه . ويتناول المتوجه نحوه . كما يقال : أى وجهه يريد ؟ أى وجهة وناحية تقصد ؟ .

١ — لم اعثر له على قائل معين وهو من شواهد العمدة في ابواب التمييز .

٢ — سورة الأعراف : ٢٩ .

٣ — سورة الروم : ٣٠ .

٤ — سورة الانعام : ٧٩ .

٥ — ورد الحديث في ابن حنبل ٤ / ٢٩٩ - ٣٠٠ ، مسلم ٨ / ٧٧ - ٧٨ ( كتاب الذكر الدعاء والتوبة ) ، ابن ماجه ٢ / ١٥ حديث رقم ٣٨٨٦ . ( كتاب الدعاء .

٦ — ورد الحديث في البخارى ٩ / ٩٢ ( كتاب التوحيد ) وفي مسلم ويلفظ مختلف ٨ / ٧٧ - ٧٨ ( كتاب الدعاء ) .

وذلك أنهما متلازمان . فحيث توجه الانسان : توجه وجهه ، ووجهه مستلزم لتوجهه . وهذا في باطنه وظاهره جميعا . فهى أربعة أمور . والباطن : هو الأصل . والظاهر : هو الكمال والشعار . فإذا توجه قلبه إلى شيء : تبعه وجهه الظاهر . فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله : فهذا صلاح لإرادته وقصده . فإذا كان مع ذلك محسنا ، فقد اجتمع له : أن يكون عمله صالحا ولا يشرك بعبادته أحدا . وهو قول عمر رضى الله عنه : « اللهم اجعل عملى كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا » .

### لابد من موافقة السنة

والعمل الصالح : هو الاحسان ، وهو فعل الحسنات . وهو ما أمر الله به والذى أمر الله به : هو الذى شرعه الله . وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله . فقد أخبر الله تعالى : من أخلص قصده لله ، وكان محسنا فى عمله : فإنه مستحق للثواب ، سالم من العقاب .

ولهذا كان أئمة السلف — رحمهم الله — يجمعون هذين الأصلين ، كقول الفضيل بن عياض فى قوله تعالى : ( ليلوكم أيكم أحسن عملا ؟ ) <sup>(١)</sup> قال : أخلصه وأصوبه . فقيل : يا أبا على ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان صوابا ، ولم يكن خالصا : لم يقبل . وإذا كان خالصا ، ولم يكن صوابا : لم يقبل . حتى يكون خالصا صوابا . والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

وقد روى ابن شاهين واللالكائى ، عن سعيد بن جبیر . قال : « لا يقبل قول إلا بعمل . ولا يقبل قول وعمل إلا بنية . ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة » . وروى عن الحسن البصرى مثله . ولفظه « لا يصلح » مكان « لا يقبل » وهذا فيه رد على المرجئة الذين يجعلون مجرد القول كافيا .

فأخبر أنه لا بد من قول وعمل . إذ الإيمان قول وعمل . لا بد من هذين ، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع . وبيننا أن مجرد تصديق القلب ونطق اللسان ، مع بغض الله ولشرائعه والاستكبار على الله وعلى شرائعه : لا يكون إيماناً باتفاق المؤمنين . حتى يقترن بالتصديق عمل صالح . وأصل العمل : عمل القلب . وهو الحب ، والتعظيم النافي للبغض والاستكبار .

ثم قالوا : « لا يقبل قول وعمل : إلا بنية » وهذا ظاهر . فان القول والعمل إذا لم يكن خالصاً لله تعالى : لم يقبله الله .

ثم قالوا : « ولا يقبل قول وعمل ونية : إلا بموافقة السنة » وهي الشريعة . وهي ما أمر الله به ورسوله ﷺ . لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشروعاً قد أمر الله به : يكون بدعة « وكل بدعة ضلالة » ليس بما يحبه الله فلا يقبله الله . ولا يصلح . مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب .

ولفظ ( السنة ) في كلام السلف : يتناول السنة في العبادات ، وفي الاعتقادات . وإن كان كثيراً ممن صنف في السنة : يقصدون الكلام في الاعتقادات . وهذا كقول بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبي الدرداء ، رضي الله عنهم : ( اقتصاد في سنة ، خير من اجتهاد في بدعة ) وأمثال ذلك . والله سبحانه وتعالى أعلم . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين .



## الفهرست

الموضوع	صفحة
تقديم .....	٥
ابن تيمية — إمام وتاريخ .....	١١
نشأته وحياته .....	١١
جهاده .....	١٤
محاربة المنكر .....	١٧
محنته ووفاته .....	١٨
فصل : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .....	٢٥
ديننا يتضمن الأمر بكل معروف والنهى عن كل منكر .....	٢٦
يجب الأمر بكل معروف والنهى عن كل منكر .....	٢٩
الناس فريقان فى الأمر والنهى .....	٣١
الصبر على جور الأئمة .....	٣٢
درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .....	٣٣
فصل : الحب والبغض تبع لحب الله وبغضه .....	٣٤
فصل : شروط الأمر والنهى .....	٣٩
فصل : المعاصى سبب المصائب : من الأمم . والطاعة سبب النعم .....	٤١
أسباب الفتن فى اتباع هؤلاء .....	٤٥
فصل : أمور الناس لا تستقيم إلا بالعدل .....	٤٨
أقسام الناس فى الأمر والنهى .....	٤٩
أهل المنكر يحبون من يوافقهم .....	٥٢
فصل : وجوب الصبر عند المحنة .....	٥٤
الاحسان إلى الناس يحقق المطلوب .....	٥٤
ذم البخل والجبن .....	٥٦

الموضوع	الصفحة
مدح الشجاعة والكرم	٥٨
النهي عن البطر والضعف	٦١
المحمود من الحمية والشجاعة ما كان لله	٦٥
أقسام الناس في الأمر والنهي	٦٨
الأمر والنهي من لوازم بني آدم	٦٩
فصل : في إخلاص العمل لله	٧٢
معنى الاسلام	٧٤
إخلاص الوجه لله يتضمن القصد والنية	٧٦
لا بد من موافقة السنة	٧٧



طبع بترخيص وزارة الاعلام رقم ٢٨٧٨ م/ج/٣٠/١١/١٤٠٣